أعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة

الجزء الثاني

عبد الرحمن العلي

الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

الصفة الخامسة

القوامـ ـة بأمر الله

الفصل الأَول

المبحث الأول

القيام بأمر الله والقوامة عليه

حقيقة الطائفة المنصورة

" أمر الله " _ كما تكرر معنا _: دينُه وشرعُه: كتاباً وسنة, والآيات الدالّة على إتيان " الأمر " بمعنى الشريعة المأمور بها والدين المنزل الواجب الاتباع كثيرة؛ منها:

* قوله تعالى: { فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ } .

* وقال تعالى: { حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَارِهُونَ } .

* وقال تعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا } .

* وقد قال تعالى: { أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ } .

فـ" الخلق ": القدر, و" الأمر ": الشرع(1) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _: [فإنه سبحانه له الخلق, والأمر فكما لا يَخلق غيرُه: لا يأمر غيرُه { إن الحكم إلا الله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون }](2) .

_ _ وقد ثبت وصف الطائفة المنصورة بأنها: قائمة بأمر الله, قوامة عليه:

* من حديث معاوية _ رضي الله عنه _، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تزال طائفة من أمتي **قائمة بأمر الله** لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس "(3) .

* وعن معاوية _ رضي الله عنه _ أيضاً _، قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يزال من أمّتي أمّةٌ **قائمة بأمر الله** ما يضرّهم مَن كذّبهم ولا مَن خالفهم حتى يأْتي أمر الله وهم على ذلك "(4) .

* وعن أبي هريرة _ رضي الله عنه _ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزال طائفة من أمتي **قوامة على أمر الله** لا يضرها من خالفها "(5) .

قال المناوي _ رحمه الله _: ["قوامة على امر الله ", اي: على الدين الحق لتامن بهم القرون وتنجلي بهم ظلم

---

(1) انظر: " فتاوى ابن تيمية 11/251, 271 " .

(2) " الفتاوى 28/614 " .

(3) " مسلم 3/1524 " .

(4) " البخاري 3/1331, 6/2714 " .

(5) صحيح: " ابن ماجه 1/5 ", " مسند الشاميين 2/394 ", " الاحاد والمثاني 5/254 ", وانظر: " مصباح الزجاجة 1/5 ", وقال في " فيض القدير 6/396 ": [رجاله: موثقون] .

البدع والفتون لا يضرها من خالفها لئلا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة][1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم: " قوامة ": صيغة مبالغة دالة على أنّ العمل للدين: هو شغل هذه الطائفة الشاغل الذي طافت به, واجتمعت عليه,فهو همّها الأوحد لا همّ لها غيره .

ـ فهذه الطائفة: قائمة بدين الله وشرعه في نفسها, وغيرها: استقامةً عليه, ودعوةً إليه, وجهاداً في سبيله, فألزمت نفسَها الحق, وحملت غيرَها عليه .

* قال تعالى: { مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ **قَائِمَةٌ** يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ }[آل عمران: 114].

فجمع الله تعالى لهذه الأمة التي وصفها بأنها ' قائمة ' بين صلاحها في نفسها كما في قوله: {يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ }, وإصلاحها لغيرها كما في قوله: {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ } كما دلّ قوله بعد: { وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ }: على مسارعتها في أبواب الخير جميعها: اللازمة, والمتعدية, ولا تكون الأمة: " قائمة ' إلا بهذا .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: [{ أمة قائمة }, أي: قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة نبي الله, **فهي قائمة؛ يعني**: مستقيمة: { يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون}, أي: يقيمون الليل ويكثرون التهجد, ويتلون القرآن في صلواتهم: { يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين }][2] .

* وقد قال تعالى: { يأيها الذين آمنوا كونوا **قوامين لله** شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } .

قال الجصاص ـ رحمه الله ـ: [ومعناه: كونوا قوامين لله بالحق في كل ما يلزمكم القيام به من الأمر بالمعروف, والعمل به والنهي عن المنكر, واجتنابه, فهذا هو القيام لله بالحق][3] .

ـ ـ وقد أقسم الله تعالى على خسران من فرط في القيام له بأمره بحسب ما اتاه الله من ذلك, فقال تعالى: {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } .

فـ(شرط النجاة من الخسران: جعله الله تبارك وتعالى معلقاً بمعرفة الناس للحق, وإذا عرفوه: الزموا انفسهم به, ومكنوه من قلوبهم, وعاشوا بالحق, وللحق .

ولا يعفون من المسئولية, ولا ينجون بأنفسهم إذا عرفوا الحق ولم يبشروا به, ويدعوا الناس إليه, ويحملوهم حملاً على التمسك بالحق واتباع الحق .

فالدعوة إلى الحق والتبشير به: فرع الإيمان بالحق ومعرفة الحق, ولا يتم الاصل بدون هذا الفرع الذي هو

---

(1) "فيض القدير396/6 " .

(2) " تفسير ابن كثير398/1 " .

(3) " احكام القران39/4 " .

الدعوة إلى الحق والتبشير به بين الناس .

ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه ويتبعه: فهو من الخاسرين, لأن أمر الله تبارك وتعالى صريح في هذه الآية: وهو التواصي بالحق, والتواصي يحمل معنى الدعوة إلى الحق بكل صراحة وقوة .

فإذا عرفت الحق: ورأيت أهل الباطل يزيغون عن الحق ولم تدعهم إلى اتباع الحق وتوصهم باتباع طريق الحق الذي هو الصراط المستقيم, والنور المبين: بلا شك أنك من الخاسرين, لأنك لم تنفذ أمر الله وتتواصى بالحق, ولأنك أخذت الحق لنفسك ولم تحمل عليه غيرك من الزائغين المنحرفين أو المخطئين التائهين .

والمسلم لا يعيش لنفسه فقط بل يعيش لنفسه وللناس, فإذا أصلح نفسه: وجب عليه إصلاح غيره, والدعوة إلى الإصلاح تشمل الناس جميعاً, كل على حسب طاقته, وبقدر نطاقه الذي يحيط به, والنص في هذه الآية صريح لا يقبل التأويل)[1] .

ـــ و" الإيمان " **لا** يكتمل, ولا تتجلى للعبد حقائقه إلا بأن يقوم العبد بـــ" الحق " في غيره كما قام به في نفسه, فـ(حقيقة الإيمان: لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان لأنه يجاهد نفسه كذلك في أثناء مجاهدته للناس، وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبداً وهو قاعد آمن ساكن، وتتبين له حقائق في الناس, وفي الحياة لم تكن لتتبين له أبداً بغير هذه الوسيلة، ويبلغ هو بنفسه, وبمشاعره, وتصوراته، وبعاداته, وطباعه, وانفعالاته, واستجاباته ما لم يكن ليبلغه_ أبداً_ بدون هذه التجربة الشاقة العسيرة .

وهذا بعض ما يشير إليه قوله تعالى: { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض }، وأول الفساد: فساد النفوس بالركود الذي تأسن معه الروح، وتسترخي معه الهمة، ويتلفها الرخاء, والطراوة ثم تأسن الحياة كلها بالركود أو بالحركة في مجال الشهوات وحدها كما يقع للأمم حين تبتلى بالرخاء)[2] .

ـ ـ وهؤلاء الذين يقومون بأمر الله في أنفسهم, وغيرهم: هم أعلى الناس منزلة, ودرجة عند الله .

* عن ابي موسى_ رضي الله عنه_, قال صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا: فكان منها نَقِيّةٌ؛ قبلت الماء: فأنبتت الكلأ والعُشْبَ الكثير، وكانت منها أجادِبُ؛ امسكت الماء: فنفع الله بها الناس فشربوا وسَقَوا وزرعوا، واصابت منها طائفةً اخرى إنما هي قيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تنبتُ كلأً .

فذلك مَثَل من فَقِهِ في دين الله ونفعَهُ ما بعثني اللهُ به فعَلِمَ وعلّم، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك راساً ولم يقبل هُدَى الله الذي أرسِلتُ به "[3] .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [فشبّه صلى الله عليه وسلم العلم الذي جاء به بالغيث لان كلاً منهما سبب الحياة؛

---

(1) " عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور للصواف/87 " .

(2) " هذا الدين لسيد قطب/10 " .

(3) " البخاري42/1 ", " مسلم1787/4 " .

فالغيث سبب حياة الأبدان, والعلم سبب حياة القلوب, وشبّه القلوب بالاودية كما في قوله تعالى: { أنزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها } .

وكما أن الارضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث؛ إحداها: أرض زكية قابلة للشراب والنبات؛ فإذا أصابها الغيث: ارتوت ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج .

فذلك مثل القلب الزكي الذكي فهو يقبل العلم بذكائه؛ فيثمر فيه وجوه الحكم, ودين الحق بزكائه؛ فهو قابل للعلم مثمر لموجبه, وفقهه وأسرار معادنه .

والثانية: أرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه؛ فهذه تنفع الناس لورودها, والسقي منها والازدراع .

وهو مثل القلب الحافظ للعلم الذي يحفظه كما سمعه, فلا تصرّف فيه, ولا استنبط بل للحفظ المجرد؛ فهو يؤدي كما سمع وهو من القسم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: ' فرب حامل فقه إلى من هو أفقه ورب حامل فقه غير فقيه '[1] .

فالأول: كمثل الغني التاجر الخبير بوجوه المكاسب والتجارات؛ فهو يكسب بماله ما شاء .

والثاني: مثل الغني الذي لا خبرة له بوجوه الربح والمكسب ولكنه حافظ لما لا يحسن التصرف والتقلب فيه.

والأرض الثالثة: أرض قاع؛ وهو المستوى الذي لايقبل النبات, ولا يمسك ماءً؛ فلو أصابها من المطر ما اصابها: لم تنتفع منه بشئ .

فهذا مثل القلب الذي لا يقبل العلم والفقه والدراية وإنما هو بمنزلة الأرض البوار التي لا تنبت, ولا تحفظ, وهو مثل الفقير الذي لا مال له ولا يحسن يمسك مالاً .

فالأول: **عالم, معلم, وداع إلى الله على بصيرة؛ فهذا من ورثة الرسل** .

والثاني: حافظ, مؤدّ لما سمعه؛ فهذا يحمل لغيره ما يتجر به المحمول إليه ويستثمر .

والثالث: لا هذا, ولا هذا؛ فهو الذي لم يقبل هدى الله, ولم يرفع به رأساً .

فاستوعب هذا الحديث اقسام الخلق في الدعوة النبوية ومنازلهم منها][2] .

_ فأعلى الناس درجة ومرتبة عند الله: من قام بأمره: علماً وعملاً, في نفسه, وفي غيره, ومن وفق بأن اقامه الله في هذا المقام_ مقام القوامة بأمر الله_: فهو الفائز, إذ الفائز حقيقة من اختاره الله وجعله: (جهبذاً, وداعياً للعباد, ونذيراً لهم, وحجة فيهم: هادياً مهدياً)[3] .

فكانت هذه القوامة بدين الله: هي وراثة النبوة بلا نزاع إذ الامر كما قال ابن الجوزي_ رحمه الله_: [هل

---

(1) صحيح: " المستدرك1/162, 163, 164 ", " الترمذي5/34 ", " ابن ماجه1/84, 85 ", " الدارمي1/86 ", وغيرهم, وانظر: " مصباح الزجاجة1/32 " .

(2) " زاد المهاجر إلى ربه لابن القيم/55: 56 " .

(3) " الفتح الرباني للجيلاني " .

كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق, وحثهم على الخير, ونهيهم عن الشر](1) .

* وقد قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما سألها عبد الله بن شقيق: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعد ؟ .

قالت : "نعم بعدما **حطمه الناس** "(2) .

ـ نخاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وسلم: (كانت ساعاته موقوفة على الجهاد: بقلبه, ولسانه ويده, ولهذا كان أرفع العالمين: ذكراً, وأعظمهم عند الله: قدراً)(3) .

ولذلك؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: [ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء: هم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً, ودعوة إلى الله والرسول .

فهؤلاء: أتباع الرسول حقاً, وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التى زكَت، فقبلت الماء: فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت فى نفسها, وزكّى الناس بها](4).

ـ وعليه, فـ (من صحت تبعيته للرسول صلى الله عليه وسلم: ألبسه درعَه وخوذتَه, وقلده سيفَه, ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه, وخلع عليه من خلعه, واشتد فرحه به: كيف هو من أمته !(5) .

ويشكر ربه عز وجل على ذلك ثم يجعله نائباً له في أمته, ودليلاً وداعياً لهم إلى باب الحق عز وجل .

كان هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ الداعي والدليل, ولما قبضه الحق عز وجل: أقام له من أمته من يخلفه فيهم, وهم آحاد, أفراد, من كل ألف ألف: واحد, يدلون الخلق, ويصبرون على أذاهم مع دوام النصح لهم)(6) .

ـــ ولذا, كان هذا المقام: (الغاية القصوى في بني آدم, لا منزلة تفوق منزلته إلا النبوة)(7) .

ومن ثم: فهو اصطفاء واختيار, وأهله: هم المصطفون, المختارون, فـ (إذا صلح قلب العبد للحق عز وجل, وتمكن من قربه: أعطي المملكة والسلطنة في أقطار الأرض, وسُلم إليه نشرُ الدعوة في الخلق, والصبر على أذاهم: يُسلم إليه تغيير الباطل, وإظهار الحق)(8) .

ـ وهؤلاء القائمون بأمر الله, القوامون عليه: هم من عَنَاهم الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ بقوله:

---

(1) " صيد الخاطر/42 " .

(2) " مسلم506/1 " .

(3) " زاد المعاد 2/ 38 " .

(4) " الفتاوى92/4: 93 " .

(5) قوله: " ألبسه ..., قلده ..., الخ ": على المعنى المجازي, المقصود به: الاتباع والاقتداء لا غير, فتنبه ! .

(6) " الفتح الرباني/83 " .

(7) " فتوح الغيب/49 " .

(8) " الفتح الرباني/144 " .

" لن تخلو الأرض من قائم لله بحجته لكيلا تبطل حجج الله وبنياته, أولئك الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً بهم يَدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشابههم, هجم بهم العلمُ على حقيقة الأمر: فاستلانوا ما استوعر منه المترفون, وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحُها معلقة بالملأ الاعلى, أولئك: خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه "[1] .

* قال الحسن_ رحمه الله_: ' هذا حبيب الله هذا وليّ الله, هذا صفوة الله هذا خيرة الله, هذا أحب الخلق إلى الله: أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين فهذا: خليفة الله[2] "[3] .

المبحث الثاني

(1) جزء من وصية علي_ رضي الله عنه_ المشهورة للكميل بن زياد: "جامع بيان العلم 57/1 ", " الحلية 80/1 ", "تذكرة الحفاظ 11/1", " تهذيب الكمال 220/24 ", تاريخ بغداد 379/6 ", "صفوة الصفوة 330/1 " .

(2) في هذا الإطلاق نزاع مشهور, انظر: "مفتاح دار السعادة لابن القيم 151/1, وما بعدها ' .

(3) "تفسير الطبري 118/24 " .

الطائفة المنصورة والواقع

وصفَ النبي صلى الله عليه وسلم الطائفة المنصورة بأنها قائمة بأمر الله, قوامة عليه ممّا هو دالّ على معرفة هذه الطائفة بواقعهٌ معرفة تامة إذ القيام بأمر الله في واقع ما: هو فرع عن معرفة هذا الواقع وما يجب لله فيه، وعند الجهل بحقيقة الواقع أو عدم تصوره تصوراً تاماً: يستحيل_ وإن خلصت النوايا, وصدقت العزائم_ القيام بأمر الله, والقوامة عليه .

فأهل الطائفة المنصورة لا يعيشون خارج واقعهم بمساحات شاسعة من الزمان, المكان, وإنما يعيشون واقعهم بما هو عليه بغير خداع للنفس أو تضليل, ومن ثم: يسعون جهدهم لتقويم هذا الواقع بشرع الله وأمره قياماً بميراث النبوة, وتحملاً لمسئوليتهم .

فالواقع عند الطائفة المنصورة: هو ميدان عملها, وهو محلّ القيام بأمر الله, والقوامة عليه, وهو موطن الرسالة التي تحمل .

ـــ وقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتبه, وأرسل رسله تترى تقويماً للواقع بشرع الله ودينه, فكان الواقع: محل عمل الأنبياء والمرسلين, وموطن تنزيل الكتب السماوية .

* قال تعالى: { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم } [إبراهيم: 4] .

ـــ وقد امتلأ القرآن الكريم بذكر صور الانحراف التي جاء الأنبياء والمرسلون لتغييرها في واقعهم, وتقويمها بشرع الله, وإخضاعها لأمره, وعلى رأس ذلك: الانحراف الأعظم, والمنكر الأكبر: اتخاذ الشركاء والأنداد, وعبادة الطاغوت:

* قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } .

* وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } .

* وقال تعالى: { كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ **أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ** فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ } .

* وقالت تعالى: { كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ **وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ** فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ **وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** } .

* وقال تعالى: { كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ** وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ } .

* وقال تعالى: { وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } .

* وقال تعالى: { مَا جَعَلَ الله مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } .

والآيات في هذا: كثيرة جداً إذ القرآن الكريم ممتلىء بالحديث عن الواقع الذي كان يكابده الأنبياء والمرسلون مع أقوامهم أطراً لهم على شرع الله ودينه .

ـــ ولقد كانت الحادثة تقع بين أظهر الصحابة_ رضي الله عنهم_ فيتنزل القرآن الكريم: هدايةً, وتعليماً, وإرشاداً, ومن ذلك:

* قوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ الله وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ الله وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } .

* وقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } .

* وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِالله رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } .

ـ وهذا ممّا يطول ذكره, وقد قال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ **لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ الله** } .

* وقال تعالى: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ **إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ** وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } .

ـــ كما بين تعالى انه أنزل ذلك الكتاب المهيمن: القران الكريم على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم لتغيير واقع العباد بإخراجهم من الظلمات إلى النور, فكان القران كله معالجة للواقع أياً كان .

* قال تعالى: { الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ **لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } .

* وقال تعالى: { الله ولي الذين امنوا **يخرجهم من الظلمات إلى النور** } [البقرة: 257] .

* وقال تعالى: {ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم } [المائدة: 16] .

ـــ وبالإضافة لما سبق: فقد امتلا القران الكريم بالايات التي تفضح اعداء هذا الدين من اليهود, والنصارى, والمشركين, وبيان ما يضمرون للإسلام واهله من حقد اسود, وشر وضغينة, وتحذير اهل الإسلام منهم, وكيف انهم يتربصون بهم الدوائر كما فضح القران المنافقين, وهتك سترهم, وبين خبيئة نفوسهم حتى سُمّيت سورة من القران بـــ " الفاضحة " لكثرة حديثها عنهم, وبيان حقيقة امرهم, وما تنطوي عليه نفوسهم .

* وقد قال تعالى: {كذلك ولتستبين سبيل المجرمين } .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: إ الله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلّة, وسبيل المجرمين مفصلّة,

وعاقبة هؤلاء وعاقبة هؤلاء, وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء, وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء, وتوفيقه لهؤلاء وخذلانه لهؤلاء, والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خَذل بها هؤلاء, وجلا سبحانه الأمرين في كتابه, وكشفهما, وأوضحهما, وبينهما غاية البيان حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام.

فالعالمون بالله, وكتابه, ودينه: عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية, وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية: فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك: الطريقُ الموصل إلى مقصوده, والطريق الموصل إلى الهلكة, فهؤلاء: أعلم الخلق, وأنفعهم للناس, وأنصحهم لهم, وهم الأدلاء الهداة ...](1) .

ـ وـ(هذا المنهج لا يعنى ببيان الحق وإظهاره حتى تستبين سبيل المؤمنين الصالحين فحسب إنما يعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الضالين المجرمين ـ أيضاً ـ .

إن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين .

إن سفور الكفر, والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان, والخير والصلاح .

واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غبشاً وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم)(2) .

* وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ, قال: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير, وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني "(3) .

* وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قوله: " إنما تنقض عرى الإسلام: عروة عروة إذا نشأ في الإسلام مَنْ لا يعرف الجاهلية " .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ تعليقاً على قول عمر السابق: [وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمّه: وقع فيه, وأقره, ودعا إليه وصوّبه وحسّنه وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شرّ منه: فيقض بذلك عُرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف: منكراً, والمنكر: معروفاً، والبدعة: سنّة والسنّة: بدعة ويُكفّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد, ويُبدّع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع, **فمن كان له بصيرة, وقلب حي: يرى ذلك عياناً**](4).

* وفي لفظ عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أيضاً ـ قال: " قد علمتُ ورب الكعبة متى تهلك العرب: إذا ساسهم مَنْ لم يُدرك الجاهلية ولم يكن له قدم في الإسلام "(5) .

ـ وقد بين الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ اهمية معرفة الواقع, وتصوره تصوراً تاماً, وانه ركن إصابة الحق

---

(1) " الفوائد/108 " .

(2) " في ظلال القران2/1105: 1107 " .

(3) " البخاري3/1319, 6/2595 ", " مسلم3/1475 " .

(4) " مدارج السالكين1/344 " .

(5) " البداية والنهاية8/231: 232 " .

والقيام به, فقال: [ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع, والفقه فيه, واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن, والأمارات, والعلامات حتى **يحيط** به علماً .

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع, وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر][1] .

وقال_ أيضاً_ رحمه الله_: [ذكر عبد الله بن بطة في كتابه في الخلع عن الإمام أحمد أنه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال:

أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية: لم يكن عليه نور, ولا على كلامه نور .

والثانية: أن يكون له علم, وحلم, ووقار, وسكينة .

الثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه, وعلى معرفته .

الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس .

الخامسة: **معرفة الناس** .

قال ابن القيم:

وأما قوله: الخامسة: معرفة الناس؛ فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي, والحاكم, فإن لم يكن فقيهاً فيه، فقيهاً في الأمر والنهي ثم يطبق أحدهما على الآخر وإلا كان ما **يفسد أكثر ممّا** يصلح، فإنه إذا لم يكن فقيهاً في الأمر له معرفة بالناس: تصورّ له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المُبطل وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال، **وتصور** له **الزنديق** في **صورة الصّديق**، والكاذب في صورة الصادق، ولبس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله كما تقدم بيانه، وبالله التوفيق][2] .

ــ ولمّا نزلت بالمسلمين كائنة التتار زمن شيخ الإسلام ابن تيمية, وسُئِل_ رحمه الله_ عن قتالهم, **اصّل** للجواب, فقال: [الحمد لله رب العالمين, نعم يجب قتال هؤلاء بكتاب الله وسنة رسوله واتفاف ائمة المسلمين .

وهذا مبنى على اصلين؛ احدهما: **المعرفة بحالهم**, والثانى: معرفة حكم الله فى مثلهم؛ فأما الاول: فكل من باشر القوم يعلم حالهم ومن لم يباشرهم: يعلم ذلك بما بلغه من الاخبار المتواترة واخبار الصادقين, **ونحن نذكر جل امورهم** بعد ان نبين الاصل الاخر الذى يختص بمعرفته اهل العلم بالشريعة الإسلامية؛ فنقول: كل

---

(1) " إعلام الموقعين1/87: 88 ", وقد وجّه البعض كلام ابن القيم هذا توجيهاً بارداً لا يقدّم, ولا يؤخر, ووالله إن الإنسان ليعجب, ويحار من هذه المكابرة, وهذا العناد, وقد صدق الاعشى يوم قال: كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يَضِرّها واوهى قرنه الوعل .

(2) " إعلام الموقعين4/205: 206 " .

طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها بإتفاق أئمة المسلمين...](1).

فتأمّل كيف بنى الحكم فيهم على معرفة حالهم, وما هم عليه_ يقيناً لا ظناً_, وكيف جعل ذلك: الأصل الأول الذي يبنى عليه الحكم .

ومن عجيب المناسبات هنا ما جاء في صيغة هذا السؤال الذي وجّه لشيخ الإسلام_رحمه الله_حيث جاء في آخره: [أفتونا في ذلك بأجوبة مبسوطة شافية؛ فإن أمرهم قد **أشكل على كثير من المسلمين بل على أكثرهم** تارة **لعدم العلم بأحوالهم** وتارة لعدم العلم بحكم الله](2) .

فنص على أن عدم العلم بحال القوم, وما هم عليه من الكفر كان سبباً مانعاً للكثيرين من القيام فيهم بأمر الله.

_ _ فعند الجهل بالواقع أو عدم تصوره تصوراً تاماً: يعجز العبد عن القيام بالحق الذي يحبه ويرضاه الله في هذا الواقع وإن حَصّل ما حصل من العلوم بل قد يكون هذا العبد قائماً بالباطل, مسارعاً إليه, ناصراً له وهو يظن نفسه من جند الحق وأعوانه, فينشأ من ذلك من الشر المستطير, والفساد العظيم ما تتبدل معه حقائق الدين: فتنقلب السنة إلى بدعة, والمعروف إلى منكر بل والكفر إلى إيمان, ويوالى أعداء الدين, ويعادى أولياؤه, وبالجملة: ينقلب الحق إلى باطل, والباطل إلى حق, ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ولذلك, قرر أهل العلم: أن (من لم يكن عالماً بأهل زمانه: فهو جاهل)(3) .

وقال ابن عابدين_رحمه الله_: [من جهل بأهل زمانه: فهو جاهل](4) .

_ قال ابن القيم_رحمه الله_: [يحرم عليه_ أي: المفتي_ إذا جاءته مسألة فيها تحايل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع: أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده بل ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس, وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم بل يكون حذراً فطناً, فقيهاً بأحوال الناس وأمورهم يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك: **زاغ, وأزاغ** .

وكم من مسألة ظاهرها جميل, وباطنها مكر وخداع وظلم !, فالغر: ينظر إلى ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة: ينفذ إلى مقصدها وباطنها .

فالأول: يروج عليه زغل المسائل كما يروج على الجاهل بالنقد زغل الدراهم، والثاني: يخرج زيفها كما يخرج الناقد زيف النقوذ، وكم من باطل يخرجه الرجل بحسن لفظه وتنميقه, وإبرازه في صورة حق !, وكم من حق يخرجه بتهجينه وسوء تعبيره في صورة باطل !, ومن له ادنى فطنة وخبرة: لا يخفى عليه

(1) " الفتاوى 510/28 " .

(2) " الفتاوى 509/28 " .

(3) " رسائل ابن عابدين 130/2 " .

(4) " المرجع السابق 131/2 " .

ذلك](1).

ـ ومن ذلك: قول شيخ الإسلام ابن تيمية_رحمه الله_: [والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين **فلا** يؤخذ برأيهم, **ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا**](2) .

ــ ولذا, فأهل الطائفة المنصورة سيما أئمتهم قد فقهوا شرع الله كما فقهوا واقعهم الذي يعيشون, ومن ثم: قاموا بأمر الله, وكانت لهم القوامة عليه .

* قال بشر الحافي_ رحمه الله_ في حق الإمام أحمد, وهو يعدد ما امتاز به أحمد وفُضّل به عليه, ومن ذلك: " أنه نصب إماماً للعامة "(3) .

* ونحو ذلك ما جاء في وصف إمام أهل الشام: الإمام الأوزاعي بأنه: " كان رجل عامة "(4) .

* وقيل نحو ذلك_ أيضاً_ في خالد بن عبد الله الواسطي: أحد المحدثين الثقات, من شيوخ البخاري, حيث وصفوه بأنه كان: " رجل عامة "(5) .

* ومن أوضح ذلك وأبينه: ما جاء في وصف المحدث الثقة أبي إسحاق الفزاري بأنه: " كان رجل عامة"(6), " وهو الذي أدّب أهل الثغور الإسلامية التي في أعالي بلاد الشام والجزيرة تجاه الروم, وعلمهم سنن النبي صلى الله عليه وسلم, وكان يأمر وينهى, وإذا دخل الثغرَ رجلٌ مبتدع: أخرجه "(7) .

وقال يونس بن عبيد_ رحمه الله_: " ما رأيت احداً أنصح للعامة من أيوب والحسن "(8) .

وقال الذهبي_رحمه الله_في ترجمة بلال بن سعد: [الإمام, الرباني الواعظ: أبو عمرو الدمشقي شيخ أهل دمشق ...

كان بليغ الموعظة, حسن القصص, **نفاعاً** للعامة](9) .

* وقال ابن رجب_ رحمه الله_ عن شيخ الأسلام ابن تيمية: [كانت العلماء والصلحاء, والجند, والأمراء,

---

(1) " إعلام الموقعين4/229 " .

(2) " الاختيارات الفقهية/535 " .

(3) " الإحياء للغزالي2/22 " .

(4) " تهذيب التهذيب6/218 ", " سير اعلام النبلاء7/113 " .

(5) " تهذيب التهذيب3/87 ", " تاريخ بغداد8/294 ", " تذكرة الحفاظ1/260 " .

(6) انظر: " الحلية6/254 ", " تهذيب التهذيب1/132 ", " صفوة الصفوة4/259 ", " سير اعلام النبلاء8/543 " .

(7) " سير اعلام النبلاء8/540: 541 " .

(8) " سير اعلام النبلاء6/20 " .

(9) " سير اعلام النبلاء5/90: 91 " .

والتجار, وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً: بلسانه وعلمه][1] .

ـ ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله وطيب ثراه_ آية في معرفة واقعه, وفهم زمانه بل والإحاطة بحال الأمة وقته إحاطة عجيبة انتظمت شتى نواحي الحياة وكلامه في ذلك كثير جداً ممّا هو دال على سعة معرفة الواقع, وعظيم الاهتمام بأمر المسلمين, فرحمه الله من إمام حقاً .

ومن هذه النماذج العجيبة التي تظهر عمق, وسعة دراية شيخ الإسلام بواقعه: حُكاماً, وشعوباً, وفرقاً, وطوائف مع الوقوف على مخططات أعداء الدين وما يدبرونه له:

قوله_ رحمه الله_ عند هجوم التتار على الشام, وخروج عسكر المسلمين من مصر والشام لقتالهم بعد ذكره لأحاديث الطائفة المنصورة, وكلامه عليها:

[ومن يتدبر أحوال العالم فى هذا الوقت يعلم أن هذه الطائفة: هى أقوم الطوائف بدين الإسلام_ علماً وعملاً, وجهاداً_ عن شرق الأرض وغربها فإنهم هم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمة من المشركين, وأهل الكتاب, ومغازيهم مع النصارى, ومع المشركين من الترك ومع الزنادقة المنافقين من الداخلين فى الرافضة وغيرهم كالإسماعيلية ونحوهم من القرامطة: معروفة, معلومة_ قديماً, وحديثاً_ والعز الذى للمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها: هو بعزهم .

ولهذا لما هُزموا سنة تسع وتسعين وستمائة: دخل على أهل الإسلام من الذل والمصيبة بمشارق الأرض ومغاربها ما لا يعلمه إلا الله والحكايات فى ذلك كثيرة ليس هذا موضعها .

وذلك أن **سكان اليمن** فى هذا الوقت: ضعاف, عاجزون عن الجهاد أو مضيعون له وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء وملك المشركين لما جاء إلى حلب جرى بها من القتل ما جرى .

وأما **سكان الحجاز**: فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة وفيهم من البدع والضلال والفجور ما **لا يعلمه** إلا الله, وأهل الإيمان, والدين فيهم: مستضعفون, عاجزون وإنما تكون القوة والعزة فى هذا الوقت لغير اهل الإسلام بهذه البلاد فلو ذلت هذه الطائفة_ والعياذ بالله تعالى_: لكان المؤمنون بالحجاز من اذل الناس لا سيما وقد غلب فيهم الرفض, وملك هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الان مرفوض فلو غلبوا: لفسد الحجاز بالكلية .

واما **بلاد افريقية**: فأعرابها غالبون عليها, وهم من شر الخلق بل هم مستحقون للجهاد والغزو .

واما **المغرب الاقصى**: فمع استيلاء الافرنج على اكثر بلادهم: **لا** يقومون بجهاد النصارى هناك بل فى عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم لو استولى التتار على هذه البلاد: لكان اهل المغرب معهم من اذل الناس لا سيما **والنصارى تدخل مع التتار** فيصيرون حزباً على اهل المغرب .

فهذا وغيره ممّا يبين ان هذه العصابة التى **بالشام, ومصر** فى هذا الوقت: هم كتيبة الإسلام وعزهم: عز الإسلام وذلهم: ذل الإسلام فلو استولى عليهم التتار: لم يبق للإسلام عز, ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة

---

(1) " شذرات الذهب3/84 " .

عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه][1] .

وقال_ رحمه الله_ وهو يتحدث عن التتار تحريضاً للأمة عامة على جهادهم:

[وما أنزل الله فى القرآن من آية إلا وقد عمل بها قوم وسيعمل بها آخرون فمن كان من الشاكرين الثابتين على الدين الذين يحبهم الله عز وجل ورسوله: فإنه يجاهد المنقلبين على أعقابهم الذين يخرجون عن الدين ويأخذون بعضه ويدعون بعضه كحال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين الذين خرجوا على أهل الأسلام, وتكلم بعضهم بالشهادتين وتسمى بالإسلام من غير التزام شريعته .

فإن عسكرهم: مشتمل على أربع طوائف:

كافرة باقية على كفرها من الكرج والأرمن, والمغل وطائفة كانت مسلمة فارتدت عن الاسلام, وانقلبت على عقبيها من العرب, والفرس والروم, وغيرهم وهؤلاء: أعظم جرماً عند الله, وعند رسوله والمؤمنين من الكافر الأصلى من وجوه كثيرة ...

فالكافر المرتد: أسوأ حالاً فى الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره, وهؤلاء القوم منهم من المرتدة ما لا يحصى عددهم الا الله .

فهذان: صنفان, وفيهم_ أيضاً_: من كان كافراً, فانتسب إلى الإسلام ولم يلتزم شرائعه من إقامة الصلاة, وايتاء الزكاة وحج البيت, والكف عن دماء المسلمين وأموالهم والتزام الجهاد فى سبيل الله وضرب الجزية على اليهود والنصارى, وغير ذلك, وهؤلاء: يجب قتالهم بإجماع المسلمين ...

فهذه: ثلاثة أصناف, وفيهم: صنف رابع شر من هؤلاء وهم قوم ارتدوا عن شرائع الاسلام وبقوا مستمسكين بالانتساب اليه .

فهؤلاء الكفار المرتدون, والداخلون فيه من غير التزام لشرائعه, والمرتدون عن شرائعه لا عن سمته كلهم: يجب قتالهم بإجماع المسلمين حتى يلتزموا شرائع الاسلام وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله][2] .

والنماذج التي تظهر أن شيخ الإسلام_ رحمه الله_ كان يعيش عصره, وواقعه بعلمه_ دعوةً, وجهاداً_: قياماً بالأمانة, واداءً للرسالة, وحفظاً للميراث, وتحمّلاً للمسئولية: كثيرة جداً, ولهذا فقد اقمه الله بمنه, وفضله, وتوفيقه: رأساً للطائفة المنصورة في زمنه, وعَلَماً للاتباع الصادق لمن بعده .

الفصل الثاني

---

(1) " الفتاوى 532/28: 534 " .

(2) " الفتاوى 413/28: 416 " .

أهم واجبات القيام بأمر الله والقوامة عليه
عند الطائفة المنصورة

القيام بأمر الله والقوامة عليه_ علماً وعملاً_ وصف يجمع_ إجمالاً_ القيام بِأمْرَي: الدعوة, والجهاد:

أما الجهاد فسيأتي له_ إن شاء الله_ حديث خاص كصفة مستقلة من صفات الطائفة الظاهرة المنصورة, ولذا سنقتصر هنا على الكلام عن " الدعوة ", وما يتعلق بها ممّا يدخل دخولاً أولياً لا ممارات فيه في " القيام بأمر الله", و" القوامة عليه ", وسنتكلم_ إن شاء الله_ عن ذلك من خلال المباحث التالية؛ فنقول:

مقدمات دعوية

ـ ـ أولاً:

تعريف الدعوة عند الطائفة المنصورة .

المراد بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: هي الدعوة إلى دينِه وشرعِه, وقد عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية, فقال_رحمه الله_: [الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وما جاءت به رسله: بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا](1) .

ـ ـ ثانياً:

فضل الدعوة عند الطائفة المنصورة .

ـ الدعوة إلى الله: هي أساس وظيفة الأنبياء والمرسلين, وعملهم الذي بُعثوا من أجله:

* قال تعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: { وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم } [المؤمنون: 17] .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين } [يوسف: 108] .

ــ والدعوة إلى الله: هي أساس خيرية هذه الأمة:

* وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أَمّةٍ أَخْرِجَتْ لِلنّاس تَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله }

[آل عمران: 110] .

* وقال تعالى: {يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم **وتكونوا شهداء على الناس،** فأقيموا الصلاة واتوا الزكاة، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير } [الحج: 77 _78] .

* وقد قال تعالى: { ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين }

[فصلت: 33] .

ـ قال الإمام ابن القيم_ رحمه الله_: [فالدعوة إلى الله تعالى: هي وظيفة المرسلين واتباعهم وهم: خلفاء الرسل في امتهم, والناس تبع لهم والله سبحانه وتعالى قد امر رسوله ان يبلغ ما انزل إليه وضمن له حفظه وعصمته من الناس؛ وهكذا المُبلغون عنه من امته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه, وتبليغهم له وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ ولو اية ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً وتبليغ سنته إلى الامة: افضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو ولان ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس واما تبليغ السنن

---

(1) " الفتاوى 157/15 " .

فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه][1] .

ـــ ولذلك, كان (مقام الدعوة إلى الله: أفضل مقامات العبد)[2], وكان الدعاة إلى الله: (خواص خلق الله, وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً)[3] .

ـ ـ وأجر الدعوة: عظيم موصول غير مقطوع:

* قال صلى الله عليه وسلم: " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً: خير لك من أن يكون لك حمر النعم "[4] .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " من دعا إلى هدى: كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

ومن دعا إلى ضلالة: كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً "[5] .

لطيفة في فضل الدعوة:

* عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ, قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً, فقال: ' عرضت علي الأمم, فجعل يمر النبي معه **الرجل** والنبي معه الرجلان, والنبي معه الرهط ... " الحديث[6] .

فدلّ الحديث على أن هداية رجل واحد: أمرٌ عظيم عند الله يستحق بعث الرسل وإرسالهم, فكيف بما فوق ذلك من الأمم, والشعوب ؟! .

ـ ـ **ثالثاً**:

الطائفة المنصورة ووجوب الدعوة إلى الله .

الدعوة إلى الله واجب كفائي عند أهل الطائفة المنصورة وقد تتعين في حق البعض بحسب الحال .

* قال تعالى: { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون } [آل عمران: 104] .

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: [يعني بذلك جل ثناؤه: ولتكن منكم أيها المؤمنون { أمة }, يقول: **جماعة يدعون الناس إلى الخير**, يعني: إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده, { ويأمرون بالمعروف}, يقول: يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم, ودينه الذي جاء به من عند الله, {وينهون عن المنكر }, يعني: وينهون عن الكفر بالله, والتكذيب بمحمد, وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالأيدي,

---

(1) " بدائع التفسير 103/4 " .

(2) " مفتاح دار السعادة لابن القيم 153/1 " .

(3) " المرجع السابق ' .

(4) " البخاري 1077/3 ", " مسلم 1872/4 " عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ .

(5) " مسلم 2060/4 " .

(6) " البخاري 2107/5 " .

والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة, وقوله: { وأولئك هم المفلحون }, يعني: المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه][1] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [وأمرهم بتتميم هذه الحالة, والسبب الأقوى الذي يتمكنون به من إقامة دينهم بأن يتصدى منهم **طائفة يحصل فيها الكفاية** { يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ }, وهو الدين: أصوله, وفروعه, وشرائعه, { وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ } وهو: ما عرف حسنه: شرعاً, وعقلاً, { وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }, وهو ما عرف قبحه: شرعاً, وعقلاً, { أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }: المُدركون لكل مطلوب, الناجون من كل مرهوب .

ويدخل في هذه الطائفة: أهل العلم والتعليم, والمتصدون للخطابة ووعظ الناس_ عموماً وخصوصاً_, والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات, وإيتاء الزكاة, والقيام بشرائع الدين, وينهونهم عن المنكرات فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم أو على وجه الخصوص أو قام بنصيحة عامة أو خاصة: فإنه داخل في هذه الآية الكريمة][2] .

وقد قال ابن كثير_ رحمه الله_: [والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه][3] .

* وقال تعالى: { **ادع** إلى سبيل ربك } [النحل: 125] .

والأمر يفيد الوجوب, وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم, ولأمته من ورائه كما نصت عليه الآية السابقة .

* وعن عبد الله بن عمرو_ رضي الله عنهما_ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بلغوا عني ولو آية"[4].

قال المناوي_ رحمه الله_: [أي: انقلوا عني ما أمكنكم ليتصل بالأمة نقلُ ما جئت به, " ولو آية ": ولو كان الإنسان إنما يبلغه مني أو عني اية واحدة من القران][5].

قال القرطبي_ رحمه الله_: [وتبليغ القرآن والسنة: مأمور بهما كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغهما, فقال: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك }, وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم: " بلغوا عني ولو اية ... "][6] .

* وابن مسعود_ رضي الله عنه_, قال صلى الله عليه وسلم: " نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً: فبلغه كما

([1]) " تفسير الطبري 38/4 " .

([2]) " تفسير السعدي 76/ " .

([3]) " تفسير ابن كثير 391/1 " .

([4]) " البخاري 1275/3 " .

([5]) " فيض القدير 206/3 " .

([6]) " تفسير القرطبي 399/6 " .

سمعه, فرب مبلغ أوعى من سامع "[1] .

* وعن جبير بن مطعم_ رضي الله عنه_, قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف, فقال: " نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها, فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه "[2] .

قال المناوي_ رحمه الله_: [وفيه: وجوب تبليغ العلم][3] .

* وعن أبي بكرة_ رضي الله عنه_ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ألا ليبلغ الشاهدُ الغائبَ, فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه "[4] .

قال النووي_ رحمه الله_: [قوله صلى الله عليه وسلم: " وليبلغ الشاهد: الغائب ": هذا اللفظ قد جاءت به أحاديث كثيرة وفيه التصريح بوجوب نقل العلم وإشاعة السنن والأحكام][5] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [فمجموعُ أمتِه_ (يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم)_ تقومُ مقامَه في الدعوة إلى الله، ولهذا كان إجماعُهم حجةً قاطعةً، فأمتُه لا تجتمعُ على ضلالة، وإذا تنازعوا في شيء: ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله وإلى رسوله .

وكلّ واحدٍ من الأمةِ يجب عليه أن يقومَ من الدعوة بما يقدرُ عليه إذا لم يقم به غيرُه، فما قام به غيره: سقط عنه، وما عجز: لم يطالب به .

وأما من لم يقم به غيرُه وهو قادرٌ عليه: فعليه أن يقومَ به، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على ذاك، وقد تقسطتِ الدعوةُ على الأمة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره أخرى، فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب، وهذا إلى عمل ظاهر واجب، وهذا إلى عمل باطن واجب، فتنوعُ الدعوة يكون في الوجوب تارة، وفي الوقوع أخرى .

وقد تبين بهذا أن الدعوةَ إلى الله: تجبُ على كل مسلم، لكنها فرضٌ على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك: ما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ ما جاء به الرسول، والجهادِ في سبيل الله، وتعليم الإيمان والقران .

وقد تبين بذلك أن الدعوة نَفسَها: أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، فإن الداعي: طالبٌ مستدعٍ مقتضٍ لما

---

(1) " الترمذي5/34 ", " ابن حبان1/268, 271 " .

(2) " المستدرك1/162 ", " الدارمي1/86 ", " ابن ماجه1/84 ", " احمد4/80, 82 " .

والحديث مروي عن جمع من الصحابة_ رضي الله عنهم, انظر: " احمد5/183", " الترمذي5/33: 34 ", " ابو داود3/322 ", " ابن ماجه1/85: 86 ", " الدارمي1/87 ", " المستدرك1/164 ", " المجمع1/137: 139 "

(3) " فيض القدير6/284 " .

(4) " البخاري1/37, 2/620 ", " مسلم3/1305: 1306 " .

(5) " شرح مسلم9/128 " .

دعا إليه، وذلك هو الأمر به إذ الأمر: هو طلبُ الفعل المأمورِ به، واستدعاءٌ له ودعاءٌ إليه، فالدعاء إلى الله: الدعاء إلى سبيله، فهو أمر بسبيله، وسبيلُه تصديقُه فيما أخبرَ، وطاعتُهُ فيما أمر](1) .

ـ ـ **رابعاً:**

هدف الدعوة وغايتها عند الطائفة المنصورة .

* قال تعالى: { المر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد } [إبراهيم_1: 4] .

* وقال تعالى: { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور } [البقرة: 257] .

فغاية الدعوة, وهدفها عند الطائفة المنصورة: هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور: من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد, من ظلمات الجهل إلى نور العلم من ظلمات الآراء والأهواء إلى نور الاتباع, من ظلمات البغي والجور إلى نور العدل, من ظلمات الفسق والفجور إلى نور الطهر, من ظلمات المنكرات والمعاصي إلى نور الطاعة, من ظلمات القلق والحيرة إلى نور السكينة, من ظلمات الأرض إلى نور السماء.

وإخراج الناس من الظلمات إلى النور إنما هو بالتزام الصراط المستقيم, والصراط المستقيم: هو دعوة الأنبياء والمرسلين:

* قال تعالى: { وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض إلا إلى الله تصير الأمور } [الشورى_52: 53] .

* وقال تعالى: { اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين } [الفاتحة_ 6: 7] .

فغاية الدعوة وهدفها إذاً عند الطائفة المنصورة: التزام الصرط المستقيم: قولاً, وفعلاً, واعتقاداً .

---

(1) " الفتاوى 165/15: 166 " .

المبحث الثاني

أسس الدعوة عند الطائفة المنصورة

* قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين} [يوسف: 108] .

فهذه الآية وصف جامع لحال الطائفة المنصورة عند الدعوة إلى الله, فأهل الطائفة المنصورة يدعون إلى الله على بصيرة؛ (أي: على حجة واضحة والبصيرة: المعرفة التى يتميز بها الحق من الباطل)[1] .

وفي العطف الوارد في الآية: قولان مشهوران, (وعلى القولين؛ فالآية تدل أن أتباعه: هم أهل البصائر الداعين إلى الله على بصيرة فمن ليس منهم: فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى)[2] .

وبالعموم المتضمّن في هذا الوصف " البصيرة "؛ يمكن القول بأن البصيرة: هي إجمال لتلك الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله عند الطائفة المنصورة .

ونتكلم_ إن شاء الله_ من خلال المطالب الآتية عن أهم هذه الأسس, فنقول:

---

(1) "فتح القدير 59/3 " .

(2) "مدارج السالكين لابن القيم 482/2 " .

المطلب الاول

المطلب الاول

الإخلاص(1)

وذلك؛ بكون الدعوة إلى الله حقاً وصدقاً؛ فأهل الطائفة المنصورة يدعون إلى الله, وإلى الله وحده فليست دعوتهم لأحد من دونه سبحانه .

* قال تعالى: { ادع إلى **ربك** } [الحج: 67] .

* وقال تعالى: { قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به **إليه** أدعو } [الرعد: 36].

* وقال تعالى: { وادع إلى **ربك** ولا تكونن من المشركين } [القصص: 87] .

* وقال تعالى: { قل هذه سبيلي أدعو إلى **الله** } الآية [يوسف: 108] .

فالدعوة إلى الله_ كما هو وصفُها_: إنما هي لله, ولله وحده, ومن ثم: فأهل الطائفة المنصورة لا يدعون لأنفسهم, ولا لأحد من الخلق: من مطاع ومتبع أو حزب وطائفة, وإنما دعوتهم خَلَصَت لله وحده .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_ بعد أن ذكر قوله تعالى: { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } في باب: " الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله " من كتاب التوحيد, قال في المسائل:

[الثانية: التنبيه على الإخلاص لأن كثيراً لو دعا إلى الحق: فإنه يدعو لنفسه][2] .

ـــ وعلامة ذلك: أن تتمحض الدعوة لسبيل الله لا للسبل المتفرقة وإن كان مَنْ كان على رأسها:

* وقد قال تعالى: { ادع إلى **سبيل ربك** } [النحل: 125] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [أي: ليكن دعاؤك للخلق: مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم, المشتمل على العلم النافع, والعمل الصالح][3] .

* وفي قوله تعالى: { وادع إلى **ربك** ولا تكونن من المشركين } [القصص: 87] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ }, أي: اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك, **فكل ما خالف ذلك**: فارفضه من رياء أو سمعة أو موافقة أغراض أهل الباطل][4] .

فالدعوة التي اخلص اصحابُها قلوبهم, ونفوسهم لله وحده لا تقوم إلا على تحري السبيل الذي انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم, والدعوة إليه دون غيره من السبل سواء كانت سبيل شيخ أو زعيم أو أمير أو سبيل حزب او فرقة او جماعة .

---

(1) تكلمنا من قبل عن الإخلاص ضمن الحديث عن ضوابط العمل الجماعي, فليُراجَع ما ذكرناه هناك .

(2) انظر: " تيسير العزيز الحميد/98 " .

(3) " تفسير السعدي/317: 318 " .

(4) " تفسير السعدي/454 " .

ـ(فالدعاء إلى الله: الدعاء إلى سبيله، فهو أمر بسبيله، وسبيلُه: تصديقُه فيما أخبرَ، وطاعتُهُ فيما أمر)(1) .

* وفي قوله تعالى: { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين } [يوسف: 108] .

قال الكلبي_ رحمه الله_: " حَقٌّ على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه "(2) .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [فلا يكون الرجل من أتباعه حقاً حتى يدعو إلى ما دعا إليه](3) .

وهو صلوات ربي وسلامه عليه لم يدع لغير سبيل ربه من الكتاب, والسنة؛ فَعُلِمَ أن من دعا لسبيل شيخ أو زعيم أو أمير أو جماعة أو حزب أو طائفة: فهو ليس من أتباعه صلى الله عليه وسلم على الحقيقة .

* وقد قال تعالى: { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون } [الأنعام: 153] .

* وقال تعالى: { ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئاً، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين } [الجاثية: 18_ 19] .

ــ ومن كون دعوة أهل الطائفة المنصورة إلى الله حقاً وصدقاً: أنهم لا يرجون عند الناس من دعوتهم جزاءً, ولا شكوراً, وعلى هذا جرت دعوة الأنبياء والمرسلين:

* قال تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ **فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ** وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [يونس: 71_72] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ } على دعوتي, وعلى إجابتكم, فتقولوا: هذا جاءنا ليأخذ أموالنا: فتمتنعون لأجل ذلك, { إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ } أي: لا أريد الثواب, والجزاء إلا منه](4) .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [الشعراء: 105_109] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } فتتكلفون من المغرم الثقيل, { إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } أرجو بذلك القرب منه, والثواب الجزيل وأما أنتم فمنيتي, ومنتهى إرادتي منكم: النصح لكم, وسلوككم الصراط المستقيم](5) .

---

(1) " الفتاوى 15/166 "

(2) " مفتاح دار السعادة لابن القيم 1/154 ", " تفسير الطبري 13/80 " .

(3) " مفتاح دار السعادة 1/154 " .

(4) " تفسير السعدي /253 " .

(5) " تفسير السعدي /428 " .

* وقال تعالى: { كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَنِّي إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [الشعراء: 123_126] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [فلست أسألكم على تبليغي إياكم, ونصحي لكم: أجراً حتى تستثقلوا ذلك المغرم, { إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } الذي رباهم بنعمه, وأدر عليهم فضله وكرمه خصوصاً ما ربى به أولياءه, وأنبياءه][1] .

* وقال تعالى: { كَذَّبَتْ ثمود الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالح أَلَا تَتَّقُونَنِّي إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [الشعراء: 141_145] .

* وقال تعالى: { كَذَّبَتْ قوم لوط الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لوط أَلَا تَتَّقُونَنِّي إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [الشعراء:160_164] .

* وقال تعالى: { كَذَّبَ أصحاب الأيكة الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شعيب أَلَا تَتَّقُونَنِّي إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [الشعراء:176_180] .

* وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ **وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ** إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } .

* وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ** إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { **قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الله** وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [سبأ: 47] .

* وقال تعالى_ كذلك_: { قل **ما أسألكم عليه من أجر** وما أنا من المتكلفين } [ص: 86] .

ـــ فدعوة يبتغي بها أصحابُها جزاءً أو شكوراً من: مال أو منصب أو جاه أو محمدة ورفعة وثناء: دعوةٌ فاسدة, مثلها كبذرة فاسدة لا تنبت أو تنبت علقماً .

* قال عبد الله بن المبارك: " قيل لحمدون بن احمد: ما بال كلام السلف انفع من كلامنا ؟ .

قال_ رحمه الله_: " لانهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس, وطلب الدنيا, ورضا الخلق "[2] .

فالإخلاص في الدعوة إلى الله حقاً, وصدقاً بخلوصها من كل شائبة وإن دقت: اعظمُ اسباب نجاح الدعوة ونمائها حتى يُرى لها من الاثر ما يشبه الخيال, ولا يخطر بعقل او بال إذ الله يصنع لها ويصنع .

* وقد قال تعالى: { والذين جاهدوا فينا: لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين } [العنكبوت: 69] .

---

(1) " تفسير السعدي/429 " .

(2) " صفوة الصفوة 122/4 " .

فقيّد الله الجهاد الذي يُوفق أصحابَه, ويُسددهم, ويهديهم { لنهدينهم سبلنا }, ويكونوا به من المحسنين الذين تثبت لهم معية الله الخاصة { وإن الله لمع المحسنين }, قيّد تعالى هذا الجهاد بقوله: { فينا }, فهو جهد, واجتهاد, ومجاهدة في الله وحده لا غير .

فمن كان جهده, واجتهاده, ومجاهدته في غير الله من نفس أو شيخ أو حزب أو غير ذلك من مطاع ومتبع: فإنه يُحرم التوفيق, والسداد, والهداية لسبل الله, ومن ثم: تتناوشه سبل الضلال المختلفة كما أنه يُحرم معية الله الخاصة؛ فيكله الله تعالى إلى نفسه: فيكون الضياع ولا بد .

* وقد كتب عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_ إلى أبي موسى الأشعري_ رضي الله عنه_: "من خَلُصت نيته: كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس, ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه: شانه الله عز وجل "(1).

ــ ولذا, فالدعوة التي تقوم على فقه اللسان بغير فقه في القلب؛ صاحبُها لم يزل يُراوح مكانه, وإن ظن أنه يطير إذ (فقه اللسان بلا عمل القلب: لا يخطيك إلى الحق خطوةً، السيرُ: سيرُ القلب)(2) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [والأمر بالسنة والنهي عن البدعة: هما أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة: فيجب **أن يبتغى به وجه الله، وأن يكون مطابقًا للأمر** ...

فإن الإنسان عليه_ أولاً_: أن يكون **أمره لله، وقصده**: **طاعة الله فيما أمر به**، وهو يحب صلاح المأمور أو إقامة الحجة عليه, فإن فَعَلَ ذلك **لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره**: كان ذلك خطيئة لا يقبلها الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء: كان عمله حابطًا ثم إذا رُدّ عليه ذلك أو أوذي أو نسب إلى أنه مخطئ_ وغرضه فاسد_: طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي .

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم، وما نُسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله](3) .

_ (فكم من رجل نطق بالحق, وامر بالمعروف: فيُسلط الله عليه مَنْ يؤذيه لسوء قصده, وحبه للرئاسة الدينية .

فهذا داء خفي سار في نفوس الفقهاء كما أنه داء سار في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة, وهو داء خفي يسري في نفوس الجند, والامراء والمجاهدين فتراهم يلتقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين: مخبات وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة)(4) .

---

(1) " الحلية50/1 " .

(2) " الفتح الرباني/ 29 " .

(3) " منهاج السنة255/5 " .

(4) "سير اعلام النبلاء 192/18 " .

قال ابن الجوزي _ رحمه الله _: [الصدقُ في الطلب: منارٌ؛ أين وجد: يدلّ على الجادة, **وإنما يتعثرُ: من لم يخلص**][1] .

* وصدق الربيع بن خثيم _ رحمه الله _ حيث قال: " كل ما لا يُراد به وجهُ الله: **يضمحل** "[2] .

---

(1) " صيد الخاطر/ 355 " .

(2) " طبقات ابن سعد 186/6 " .

المطلب الثاني

العلم(1)

فـ" العلم ": من أهم أسس الدعوة عند أهل الطائفة المنصورة إذ هو_ بإذن الله_: الهادي إلى كل خير, العاصم من كل زيغ وانحراف: إفراطاً كان أو تفريطاً .

(وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها, وأفضلها, فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به, وإليه بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي)(2) .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [العلم: إمام العمل، وقائد له، والعمل تابع له و مؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به: فهو غير نافع لصاحبه بل مضرةٌ عليه كما قال بعض السلف: من عبد الله بغير علم: كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح .

والأعمال تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعمل, ومخالفتها له، فالعمل الموافق للعلم: هو المقبول, والمخالف له: هو المردود، فالعلم هو الميزان، وهو المحك](3) .

ـــ فدعوة بغير علم: ضررها يربو على نفعها إذ فاقد الشئ: لا يُعطيه, وقد قال صلى الله عليه وسلم:

" إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً: اتخذ الناس رءوساً جُهّالاً، فسئلوا: فأفتوا بغير علم: **فضلوا, وأضلوا** "(4) .

فالضلال, والإضلال: عاقبة الدعوة إلى الله, والكلام في دينه بغير علم .

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ_ رحمه الله_: [العامل بغير علم وبصيرة: ليس من عمله على طائل بل ربما جاءه الهلاك من جهة عمله كالحاطب في ظلماء، والسالك في عمياء، ولا سبيل إلى العمل إلا بالعلم، ومعرفة صلاح العمل وفساده لا بد منه ولا يدرك إلا بنور العلم وبصيرته](5) .

ـــ والدعوة إلى الله بغير علم هي_ كذلك_ بلا شك: قولٌ عليه سبحانه بغير علم, وهو من أعظم المحرمات التي جاء الشرع بالنهي عنها, والوعيد الشديد لأهلها .

* قال تعالى: { قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً, **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** } [الأعراف: 33] .

* وقال تعالى: { ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء **وأن تقولوا**

---

(1) تكلمنا من قبل على ' العلم ' كصفة مستقلة من اهم صفات الطائفة المنصورة, فليراجع ما ذكرناه هناك .

(2) " مفتاح دار السعادة لابن القيم 154/1 " .

(3) " مفتاح دار السعادة 82/1 " .

(4) متفق عليه .

(5) " الدرر السنية 342/4 " .

على الله ما لا تعلمون } [البقرة: 168_169] .

ـــ ومن الدعوة إلى الله بغير علم: الدعوة المبنية على أقوال الرجال وزخارفهم بغير مستند من الكتاب والسنة, وحقيقتها: أنها دعوة لهؤلاء الرجال لا لله سبحانه, وهي دعوة تحمل السم الناقع وإن كان ظاهرها أنها تقدم الدواء الناجع؛ ولذا: كان لأصحابها نصيب من قوله تعالى: { الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً } .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [وقد شهد سبحانه لمن يرى أن ما جاء به_(صلى الله عليه وسلم)_ من عند الله هو الحق لا آراء الرجال بالعلم؛ فقال تعالى: { ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد } [سبأ: 6], وقال تعالى: { أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى } [الرعد: 19]؛ فمن تعارض عنده حقائق ما جاء به وآراء الرجال: فقدّمها عليه أو **توقف فيه** أو قدحت في كمال معرفته وإيمانه به: **لم يكن من الذين شهد الله لهم بالعلم, ولا يجوز أن يسمى بأنه من أهل العلم**] .

ـــ وإذا كان المُقدّم لآراء الرجال على شرع الله ليس من أهل العلم: فلا يجوز له بحال من الأحوال أن يتصدّر للدعوة إلى الله إذ الدعوة إلى الله: هي الدعوة لشرعه, ودينه وهو إنما يدعو لآراء الرجال دون الشرع المنزل .

* وقد قال تعالى: { ادع إلى **سبيل ربك** بالحكمة والموعظة الحسنة }: فأمر تعالى بالدعوة إلى سبيله لا لشيء آخر كما سبق معنا بيانه, فما لم يكن من سبيل الله: لا يجوز الدعوة إليه، وما لم يُعلم_ كذلك_ أنه من سبيل الله: لا يجوز لأحدٍ_ أيضاً_ أن يدعو إليه .

* قال تعالى: { ولاَ تَقْفُ ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً }

[الإسراء: 36] .

* وقال تعالى_ كذلك_: { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه **ولا تتبعوا السّبل** فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون } [الأنعام: 153] .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها **ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**، إنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئاً، وإن الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين } [الجاثية: 18_ 19] .

المطلب الثالث

ـ ـ فـ" التوحيد ": أعظم, وأهم الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى عند أهل الطائفة المنصورة, فالتوحيد عندهم: هو الأساس والمنطلق لكل قول أو فعل, وهو في نفس الوقت: الغاية والمقصد .

ومن ثم: كان التوحيد هو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها دعوةُ أهل الطائفة المنصورة, فمنه الصدور, وإليه الورود, وهو أولاً, وهو آخراً, وما الدعوة لسائر بناء الإسلام إلا لتحقيق التوحيد وخدمته, وحماية جنابه .

ودعوة لا تقوم على التوحيد: قولاً وعملاً, منه تنطلق, وإليه ترد: دعوةٌ فاسدة, كاسدة, عادت على أصلها بالإبطال, فلا أصل لها, ولذا: فهي جهد ضائع, وسعي في غير محل, وشجرة لا جذور لها .

وإن رأى أصحاب هذه الدعوة دعوتهم: صروحاً مشيدة؛ لها علو وارتفاع: فحقيقتها أنها صروح على شفا جرف هار؛ ما تلبث أن تندك وتنهار مع كون هذا العلو والارتفاع على التحقيق: إنما هو تخييل لا حقيقة له؛ سببُه: زوغانُ القلوب والبصائر, ولذا: كان أهل البصيرة يرونها على حقيقتها بغير تخييل: قاعاً, صفصفاً .

* قال تعالى: {قل هذه سبيلي **أدعو إلى الله** على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين} [يوسف: 108] .

قال ابن جرير ـ الطبري ـ رحمه الله ـ: [يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { قل } يا محمد: { هذه } الدعوة التي أدعو إليها, والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى **توحيد الله**, **وإخلاص العبادة له دون الآلهة, والأوثان** والانتهاء إلى طاعته, وترك معصيته { سبيلي }, وطريقتي ودعوتي أدعو إلى الله وحده لا شريك له { على بصيرة } بذلك, ويقين علم مني به { أنا و } يدعو إليه على بصيرة ـ أيضاً ـ { من اتبعني }, وصدقني وامن بي](1) .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: [سبيله: أي طريقته ومسلكه, وسنته, **وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان, هو وكل من اتبعه: **يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم** على بصيرة ويقين, وبرهان: عقلي, وشرعي](2) .

قال أبو السعود ـ رحمه الله ـ: [{قل هذه سبيلي}؛ وهي الدعوة إلى التوحيد, والإيمان والإخلاص](3) .

* وعن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة في قصة بعث قريش في طلب المسلمين المهاجرين إلى الحبشة, قالت: "لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها حين جاء النجاشي ...

قالت: وكان الذي كلمه: **جعفر بن ابي طالب**, قال له: ايها الملك, كنا قوماً اهل جاهلية: نعبد الاصنام, وناكل الميتة, وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار, وياكل القوي منا الضعيف .

---

(1) تفسير الطبري13/79: 80 " .

(2) تفسير ابن كثير2/497 " .

(3) تفسير ابي السعود4/310 " .

فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه, وصدقه وأمانته وعفافه, **فدعانا إلى الله: لتوحيده, ولنعبده**, ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ... "[1] .

فتأمّل قوله: " فدعانا إلى الله: لتوحيده, ولنعبده, ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان "؛ فالدعوة إلى الله: هي الدعوة في الأساس إلى توحيده, وعبادته دون سواه .

قال القرطبي_ رحمه الله_ في قوله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { وداعياً إلى الله }, قال:

[{ وداعياً إلى الله }, الدعاء إلى الله: **هو تبليغ التوحيد, والأخذ به, ومكافحة الكفرة**][2] .

_ـ وقد بين تعالى أنه ما خلق الخلق إلا لتوحيده بإفراده وحده بالعبادة دون سواه, فكانت الغاية من إيجاد الخلق, والخليقة: هي تحقيق التوحيد:

* قال تعالى: { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين } [الذاريات: 56 _ 58] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [ومعنى الآية: أنه تبارك وتعالى خلق العباد **ليعبدوه وحده لا شريك له** فمن أطاعه: جازاه أتم الجزاء, ومن عصاه: عذّبه أشد العذاب, وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم][3] .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [هذه الغاية التي خلق الله الجن, والإنس لها, وبعث جميع الرسل يدعون إليها, وهي: عبادته المتضمنة لمعرفته, ومحبته, والإنابة إليه, والإقبال عليه, والإعراض عمّا سواه][4] .

* وقال تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [البينة: 5] .

* وقال تعالى: { وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون } [التوبة: 31] .

ـ وقد بين تعالى كذلك_ أن جميع الأنبياء, والمرسلين إنما بُعثوا: دعوةً للتوحيد, وإقامةً له:

* قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: { قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ **أَنِ اعْبُدُوا اللهَ** وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ }

[نوح: 2_3] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ }, وذلك بإفراده تعالى بالعبادة, والتوحيد, والبُعد

---

(1) " ابن خزيمة13/4 ", " احمد201/1: 202, 290/5: 291 ", " حلية الأولياء115/1 ", " صفوة الصفوة513/1: 514 ", ورجاله: رجال الصحيح, وفيه ابن إسحاق, وقد صرح بالسماع, فالحديث حسن, وانظر: " المجمع25/6: 27 " .

(2) " تفسير القرطبي200/14 " .

(3) " تفسير ابن كثير239/4 " .

(4) " تفسير السعدي/598 " .

عن الشرك, وطرقه, ووسائله][1] .

* وقال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } .

* وقال تعالى بعد ذكر نوح عليه السلام وقومه: { ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ **اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** أَفَلَا تَتَّقُونَ } [المؤمنون: 31_32] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ } من جنسهم, يعرفون: نسبه, وحسبه, وصدقه ليكون ذلك أسرع لانقيادهم إذا كان منهم, وأبعد عن اشمئزازهم, **فدعا إلى ما دعت إليه الرسل أممهم: { أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }؛ فكلهم اتفقوا على هذه الدعوة, وهي أول دعوة يدعون بها أممهم: الأمر بعبادة الله, والإخبار أنه المستحق لذلك, والنهي عن عبادة ما سواه, والإخبار ببطلان ذلك وفساده** ولهذا قال: { أَفَلَا تَتَّقُونَ } ربكم: فتجتنبوا هذه الأوثان والأصنام][2] .

* وقال تعالى: { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** } [الأعراف: 65] .

* وقال تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** } .

* وقال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ **اعْبُدُوا اللهَ** فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ } .

* وقال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** } .

* وقال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** } .

* وقال تعالى حكاية عن عبده, ورسوله عيسى عليه السلام انه قال_ أيضاً_: { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ **اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** } .

* وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: { قل إنما يوحى إليّ **أنما إلهكم إله واحد** فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً **ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** } [الكهف: 110] .

_ وبالجملة؛ فالايات هنا كثيرة جداً يطول المقام باستقصائها إذ اصل الاصول التي قامت عليه دعوة الانبياء والمرسلين جميعاً من لدن ادم إلى محمد صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين: هو تحقيق التوحيد بإفراد الله وحده بالعبادة, ونفيها عن كل ما سواه من ملك مقرب او نبي مرسل او طاغوت مُألّه او غير ذلك من الانداد, والالهة الباطلة التي يُسعى لها ويحفد:

* قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } [النحل: 36] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [يخبر تعالى ان حجته قامت على جميع الامم, وانه ما من امة متقدمة او متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً وكلهم متفقون على دعوة واحدة, ودين واحد, وهو: عبادة الله وحده لا

---

(1) " تفسير السعدي/651 " .

(2) " المرجع السابق/394 " .

شريك له : أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }](1) .

* وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: 25] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم؛ زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له, وبيان أنه الإله الحق المعبود, وأن عبادة ما سواه: باطلة](2) .

* وقال تعالى بعد ذكر قصص عدد من الأنبياء عليهم السلام: { إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون} [الأنبياء: 92] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [قال ابن عباس, ومجاهد, وسعيد بن جبير, وقتادة, وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: { وإن هذه أمتكم أمة واحدة }, يقول: دينكم واحد](3) .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون } [المؤمنون: 51_52] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [قوله: { وإن هذه أمتكم أمة واحدة }, أي: دينكم يا معشر الأنبياء: دين واحد, وملة واحدة, **وهو**: **الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له**, ولهذا قال: { وأنا ربكم فاتقون }](4) .

_ وقد جاء عن أبي هريرة_ رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى, ودينهم واحد "(5) .

قال ابن حجر_ رحمه الله_: [ومعنى الحديث: أن أصل دينهم: واحد, وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع](6) .

ـــ والتوحيد_ كذلك_ هو وصية الأنبياء والمرسلين, فهو مفتتح دعوتهم, وهو نهايتها:

* قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمَ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ**

---

(1) " تفسير السعدي/308 " .

(2) " المرجع السابق/371 " .

(3) " تفسير ابن كثير3/195 " .

(4) " تفسير ابن كثير3/248 " .

(5) " البخاري3/1270 ", " مسلم4/1837 " .

(6) " فتح الباري6/489 " .

أمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عمّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة:] .

* وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ **أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الأنعام:] .

عن عبد الله بن مسعود, قال: " من سره أن يقرأ **وصية رسول الله** صلى الله عليه وسلم: فليقرأ هذه الآيات: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم_ إلى قوله_ ذلك وصاكم به لعلكم تتقون } "(1) .

ـــ كما ذكر تعالى أن جهد الأنبياء والمرسلين في دعائهم إياه سبحانه لكمال علمهم, ووفوره: أن يجنبهم الشرك والوقوع فيه:

* قال تعالى حكاية عن إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ** فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} .

* وقال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** } .

ـــ وقد بين تعالى بياناً شافياً, كافياً لا لبس فيه ولا غموض أن الأعمال كلها لا بد أن تقوم على التوحيد بإفراده وحده سبحانه بالعبادة:

* قال تعالى: { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين } [الأنعام: 162_ 163] .

* وقال تعالى: { وَاعْبُدُوا الله وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } .

* وعن معاذ بن جبل_ رضي الله عنه_, قال: " كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار, فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله ؟ .

فقلت: الله ورسوله أعلم .

قال: حق الله على العباد: **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**, وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

فقلت: يا رسول الله, افلا ابشر الناس ؟ .

قال: لا تبشرهم فيتكلوا "(2) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن_ رحمه الله_: [قوله: " ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ", اي: ان يوحدوه

---

(1) " المعجم الاوسط43/2 ", " شعب الإيمان207/6 ", وانظر: " الترمذي264/5 " .

(2) " البخاري1049/3 ", " مسلم58/1 " .

بالعبادة, بلا بد من التجرد من الشرك بالعبادة, ومن لم يتجرد من الشرك: لم يكن آتياً بعبادة الله وحده بل هو مشرك قد جعل لله نداً](1) .

فقوله صلى الله عليه وسلم: " ولا يشركوا به شيئاً " كقوله تعالى: { وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }: **كلاهما جملة حالية**, أي: أن يعبدوه حال عدم الشرك به إذ العبادة مع الشرك: كعدمها, فمن أتى الله بصلاة أو صيام أو زكاة أو حج أو علم أو دعوة أو جهاد أو غير ذلك من العبادات بغير توحيد: فقد حبط عمله, وخاب سعيه, وعمله كعدمه بل أسوأ .

ــ وقد قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: 65] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ } من جميع الأنبياء { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ }, هذا مفرد مضاف: يعمّ كل عمل, ففي نبوة جميع الأنبياء: أن الشرك محبط لجميع الأعمال كما قال تعالى في سورة الأنعام لما عدّ كثيراً من أنبيائه, ورسله؛ قال عنهم: { ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا **لحبط** عنهم ما كانوا يعملون } .

{وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }دينك, وآخرتك, فبالشرك: تُحبط الأعمال, ويُستحق العقاب, والنكال](2) .

* وقال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ **أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ** وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } [البقرة: 167] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيهم بأن يتركوا **الشرك بالله, ويقبلوا على إخلاص العمل لله**, وهيهات: فات الأمر, وليس الوقت وقت إمهال وإنظار](3) .

* وقال تعالى: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }.

* وقال تعالى: { إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } .

* وقال تعالى: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } .

* وقال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } .

* وقال تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا } .

---

(1) " فتح المجيد/28 " .

(2) " تفسير السعدي/533 " .

(3) " تفسير السعدي/37 " .

ـ والقرآن الكريم يمتلىء بالآيات التي تذم الشرك, وتحذر منه, وتبين فساده, وإفساده, وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة .

* وعن عبد الله بن مسعود_رضي الله عنه_, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من مات يشرك بالله شيئاً: دخل النار, ومن مات لا يشرك بالله شيئاً: دخل الجنة "(1) .

* وعن جابر_رضي الله عنه_, قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ, فقال: يا رسول الله ما الموجبتان ؟ .

فقال: من مات لا يشرك بالله شيئاً: دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً: دخل النار "(2) .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب_رحمه الله_: [اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين كما قال تعالى: { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } .

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته: فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة كما قال تعالى: { ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون} [التوبة: 17] .

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة: أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار: عرفت أن **أهمّ ما عليك**: معرفة ذلك لعل الله أن يُخلصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله](3) .

ـ فالتوحيد: هو أساس صحة الأعمال, وأساس قبولها, وهو الأصل الذي يبنى عليه غيره:

* عن ابن عباس_رضي الله عنهما_, يقول: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن, قال له: " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن **أول ما تدعوهم: إلى أن يوحدوا الله تعالى** فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم, فإذا صلوا: فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك: فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس "(4) .

فنص صلى الله عليه وسلم على ان التوحيد هو الأساس, والأصل الذي تقوم عليه الدعوة, وفي الحديث: أن سائر اعمال الإسلام فرع بالنسبة للتوحيد, وقد ذكر صلى الله عليه وسلم مباني الإسلام, وفرائضه العينية: فكيف بما دون ذلك من فروض الكفايات او المستحبات ؟! .

---

(1) " مسلم94/1 " .

(2) " المرجع السابق " .

(3) " الدرر السنية23/2 " .

(4) " البخاري2685/6 ", " مسلم51/1 " .

ـ فصح أن الدعوة إلى الله: لا بد أن تكون قائمة_ أساساً_ على التوحيد: منه تنطلق, وإليه ترد, أما الانشغال بما هو فرع له مع تضييع الأصل, وإهماله: فجهد معكوس, وعمل منكوس .

قال محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_: [فتدبر هذا وأرعه سمعك وأحضر قلبك إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس إلا إن استجابوا للتوحيد][1] .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن_ رحمه الله_: [فيه دليل على أن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له, وترك عبادة ما سواه: هو أول واجب, ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام][2] .

وقد قال محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_ كذلك_: [اعلم_ رحمك الله تعالى_:أن أول ما فرض الله على ابن آدم: الكفر بالطاغوت, والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } [النحل: 36]][3] .

ـــ ومن ثم, فالتوحيد: هو قطب رحى دعوة أهل الطائفة المنصورة, يدورون حوله, ويربطون به سائر جزئيات دعوتهم, ويزنون بميزانه: أقوالهم وأفعالهم, ومواقفهم وتصوراتهم, فهو قلب الدعوة, وهو إطارها الجامع, وهو ميزانها الحق .

وأهل الطائفة المنصورة لذلك: لا يقدمون على إقامة التوحيد في دعوتهم شيئاً ما أياً كان هذا الشيء, وإن كان الدنيا بأسرها, كيف, وهو غاية الغايات التي لا تعلوها أو تدانيها غاية, وهو الذي ترخص له كل الغايات والمقاصد_ فضلاً عن الوسائل_ ؟!!!, ومن عكس: فقد انتكس .

فالأمر الذي من أجله: خلق الخلق, وأنزلت الكتب, وأرسلت الرسل, وشرّعت الشرائع, وكان الجهاد, وانقسم الناس إلى فريقين, وقام سوق الجنة وسوق النار, هذا الأمر: من البدهي عند أهل الطائفة المنصورة أن يكون هو أوجب الواجبات, وأهم المهمات, وأولى الأولويات, فكيف يُقدّم عليه غيره أو يُستبدل به ؟!!! .

---

(1) " تاريخ نجد/455 " .

(2) " فتح المجيد/84 " .

(3) " الدرر السنية161/1 " .

المطلب الرابع

البراءة من الشرك وأهله

فإذا كانت الدعوة إلى الله عند أهل الطائفة المنصورة تقوم_ أساساً_ على التوحيد: فمن البدهي كونها تقوم عندهم_ كذلك_ على البراءة من الشرك, وأهله سواء بسواء إذ البراءة من الشرك وأهله: لازم التوحيد ومقتضاه الذي لا ينفك عنه, ولا يصح دونه .

وهذا الأساس من أسس الدعوة عند أهل الطائفة المنصورة: هو برهان صدق الدعوة, ودليل إخلاصها كما أنه علامة الاتباع, والفارق بين الدعاوى والحقائق .

والبراءة من الشرك وأهله عند أهل الطائفة المنصورة مع ما ذُكرَ: شعار الدعوة الظاهر, وعلَمُها المرفوع, وعنوانها البارز, فهي دعوة تقوم أول ما تقوم على التميّز, والمفاصلة بغير مواربة أو استحياء فضلاً عن المداهنة والاستخذاء .

فنفوس أهل الطائفة المنصورة حملت الإسلام, واعتزت به, وأيقنت أن العزة كل العزة في الإسلام وحده, وأن من ابتغى العزة في غيره: أذله الله, فإنما الأمر من السماء لا من الأرض .

ولذا, فأهل الطائفة المنصورة ومنذ اللحظة الأولى لدعوتهم يعلنونها عالية, مدوية: أنهم برآء من الشرك, وأهله, وأنهم قد اختطوا لأنفسهم خطاً لا يلتقي الباطل, ولا يجامعه .

وهذه البراءة من الشرك, وأهله تجعل دعوة أهل الطائفة المنصورة: دعوة ظاهرة, جلية, واضحة كل الوضوح: لا لبس فيها, ولا غموض, ولا خفاء إذ اللبس, والغموض, والخفاء لا يتأتى إلا من مجامعة الباطل والاختلاط به: فيختلط السبيلان, وتضيع الحدود بينهما, وحاشا دعوة الطائفة المنصورة من ذلك وهي دعوة الأنبياء والمرسلين .

* قال تعالى: { قل هذه سبيلي **أدعو إلى الله** على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله **وما أنا من المشركين**} [يوسف: 108] .

فالطائفة المنصورة تقوم دعوتها على البراءة من الشرك, واهله { وما انا من المشركين }, فهي ليست من المشركين, ليست منهم فيما هم عليه من صرف للعبادة والطاعة لغير الله كما أنها ليست ممن يطيعهم, ويواليهم, ويدخل مداخلهم, فليست منهم في شيء .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } في جميع اموري بل اعبد الله مخلصاً له الدين](1) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_ فيما يستفاد من هذه الاية: [السادسة_ وهي من اهمها_: إبعاد

---

(1) " تفسير السعدي/282 " .

المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك](1) .

* وقال تعالى_ أيضاً_ في مقام الدعوة: {وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ **وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } [القصص: 87] .

فنهى الله تعالى من يدعو إليه عن أن يكون من المشركين, وهو نهي مطلق, فالداعي إلى الله حقاً: ليس من المشركين بأي وجه من الوجوه ! .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_, ولله درّ ما قال: [{ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ } أي: اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك, فكل ما خالف ذلك: فارفضه من رياء أو سمعة أو **موافقة أغراض أهل الباطل** فإن ذلك داع إلى الكون معهم, ومساعدتهم على أمرهم, ولهذا قال: { **وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } لا في شركهم, ولا في فروعه, وشعبه](2) .

_ وهجير أهل الطائفة المنصورة في دعوتهم: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ **وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ** وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } .

فهو وضوح المفاصلة عند انطلاق الدعوة { **لا أعبد** ما تعبدون }, وهو الثبات على هذه المفاصلة إلى أن تبلغ الدعوة مداها { ولا أنا **عابد** ما عبدتم } .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [هذه السورة: سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله: { قل يا أيها الكافرون }: **يشمل كل كافر على وجه الأرض** ...

فقال: { لا أعبد ما تعبدون }, **يعني**: من الأصنام والأنداد, { ولا أنتم عابدون ما أعبد }, وهو الله وحده لا شريك له ...

{ ولا أنا عابد ما عبدتم }, أي: ولا أعبد عبادتكم أي: **لا أسلكها, ولا أقتدي بها, وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه**, ولهذا قال: { ولا أنتم عابدون ما أعبد }, أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال: { إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى } .

فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه فإن العابد لا بد له من معبود يعبده, وعبادة يسلكها إليه فالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه: يعبدون الله بما شرعه, ولهذا كانت كلمة الإسلام: **لا** إله إلا الله محمد رسول الله أي: **لا** معبود إلا الله, ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم](3) .

قال ابن القيم_ رحمه الله_ وهو يتكلم عن الفوائد التي تضمنتها سورة " الكافرون ":

[واما المسألة الرابعة: وهي انه لم يأت النفي في حقهم_ اي: الكفار_ إلا باسم الفاعل، وفي جهته صلى الله عليه وسلم جاء بالفعل تارة، وباسم الفاعل اخرى .

---

(1) " فتح المجيد/95 " .

(2) " تفسير السعدي/454 " .

(3) " تفسير ابن كثير561/4 " .

فذلك_ والله أعلم_ لحكمة بديعة, وهي: أن المقصود الأعظم **براءته من معبوديهم بكل وجه, وفي كل وقت...**](1) .

ـــ وهذه البراءة المطلقة من الشرك, وأهله: هي نهج الأنبياء, والمرسلين جميعاً في دعوتهم, وسبيلهم: العذبِ, الموروِد الذي من حاد عنه: فقد ضل سواء السبيل .

* قال تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: { إِنِّي أُشْهِدُ الله وَاشْهَدُوا أَنِّي **بَرِيءٌ ممّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ** فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى الله رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } .

وتأمّل كيف أن هود عليه السلام أظهر, وأعلن هذه البراءة, ولم يخفها أو يتدسّس بها, وإنما هو الإعلان, والإظهار { إِنِّي أُشْهِدُ الله وَاشْهَدُوا } في قوة, وعزم غير مبال, ولا مكترث ببطشهم وجبروتهم .

(إنها انتفاضة التبرّؤ من القوم_ وقد كان منهم وكان أخاهم_ وانتفاضة الخوف من البقاء فيهم وقد اتخذوا غير طريق الله طريقاً .

وانتفاضة المفاصلة بين حزبين لا يلتقيان ...

وهو يشهد الله ربه على براءته من قومه الضالين وانعزاله عنهم وانفصاله منهم, ويشهدهم هم أنفسهم على هذه البراءة منهم في وجوههم كي لا تبقى في أنفسهم شبهة من نفوره, وخوفه أن يكون منهم !)(2) .

* وقال تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: { يَا قَوْمِ إِنِّي **بَرِيءٌ ممّا تُشْرِكُونَ** إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام: 78_79] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [فتبرأ من الشرك, وأذعن بالتوحيد](3) .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي **بَرَاءٌ ممّا تَعْبُدُونَ** إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } .

* وقال تعالى مخاطباً أمة محمد صلى الله عليه وسلم: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ **أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا **بُرَاءُ مِنْكُمْ وممّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِالله وَحْدَهُ** إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الله مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ...

إلى قوله تعالى:

لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتولّ فإن الله هو الغني الحميد }

---

(1) " بدائع الفوائد 144/1 " .

(2) " الظلال 1898/: 1899 " .

(3) " تفسير السعدي/167 " .

[الممتحنة: 4_6] .

قال ابن جرير الطبري_رحمه الله_: [يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد كان لكم أيها المؤمنون { أسوة حسنة }, يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن تقتدون به, والذين معه من أنبياء الله ...

وقوله: { إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وممّا تعبدون من دون الله }, يقول: حين قالوا لقومهم الذين **كفروا** بالله, **وعبدوا الطاغوت**: أيها القوم, إنا برآء منكم, ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد .

وقوله: { كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده }, يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: { كفرنا بكم }: أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً, وظهر بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبداً على كفركم بالله وعبادتكم ما سواه, **ولا صلح** بيننا, **ولا هوادة** { حتى تؤمنوا بالله وحده }, يقول: حتى تصدقوا بالله وحده: فتوحدوه وتفردوه بالعبادة.

وقوله: { إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء }, يقول تعالى ذكره: **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم, والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار, ومعاداتهم, وترك موالاتهم** إلا في قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك: فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو الله فلما تبين له أنه عدو لله: تبرأ منه .

يقول تعالى ذكره: **فكذلك أنتم أيها المؤمنون** بالله, **فتبرءوا من أعداء الله من المشركين به, ولا تتخذوا منهم أولياء** حتى **يؤمنوا بالله وحده, ويتبرءوا عن عبادة ما سواه, وأظهروا لهم العداوة, والبغضاء**][1] .

* وقد قال تعالى عن ملة إبراهيم هذه: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه } [البقرة: 130] .

* وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين } [النحل: 123] .

* وقال تعالى امراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ **قُلْ** إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي **بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** } [الأنعام: 19] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ }, اي: منفرد لا يستحق العبودية والإلهية سواه, كما انه المنفرد بالخلق والتدبير, { وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } به من الاوثان, **والانداد, وكل ما اشرك به الله** فهذا: حقيقة التوحيد: إثبات الإلهية لله, ونفيها عمّا عداه][2] .

* وقال تعالى_ ايضاً_: { وَإِنْ كَذَّبُوكَ **فَقُلْ** لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ **وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ** } .

---

(1) " تفسير الطبري28/62: 63 " .

(2) " تفسير السعدي/160 " .

وتأمّل هذه المقابلة في قوله تعالى: { أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ }: توقن أنهما نهجان متضادان, وطريقان لا يلتقيان .

والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

ــ وقد قال تعالى عن جملة أنبيائه ورسله: { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله **واجتنبوا الطاغوت** } [النحل: 36] .

فاجتناب الطاغوت, ومجانبته: ركن دعوة الأنبياء, والمرسلين قاطبة إذ " الطاغوت ": أظهر مظاهر الشرك التي تقوم دعوة الطائفة المنصورة على البراءة منه, ومن أهله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [الطاغوت: فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد, وهو الظلم والبغي فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهاً لذلك: طاغوت، ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم الأصنام: طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: " و يتبع من يعبد الطواغيت: الطواغيت "(1) .

والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله: هو طاغوت، ولهذا سمى من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله: طاغوت،وسمى فرعون, وعاداً: طغاة](2) .

وقال ابن القيم_ رحمه الله_: [الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم: **من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله** أو يعبدونه من دون الله أو **يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله** .

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأمّلت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى طاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته](3) .

وقال الشيخ عبد الرحمن ابا بطين_ رحمه الله_: [الطاغوت: يشمل كل معبود من دون الله، **وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه**, ويشمل_ أيضاً_: **كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله**, ويشمل_ أيضاً_: الكاهن، والساحر، وسدنة الأوثان الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكّذبون من الحكايات المضلة للجهال .

واصل هذه الانواع كلها واعظمها: الشيطان، فهو الطاغوت الاكبر، والله سبحانه وتعالى اعلم](4) .

---

(1) " البخاري 5/2403, 6/2704 " .

(2) " الفتاوى 28/200 " .

(3) " إعلام الموقعين 1/50 " .

(4) " الدرر السنية 2/103 " .

ـ وقد بين تعالى أن إيمان العبد لا يتحقق إلا بالكفر بهذا الطاغوت:

* قال تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم} [البقرة:] .

فجعل الله تعالى للعروة الوثقى ركنين: الكفر بالطاغوت, والإيمان بالله, وقدّم الله تعالى الكفر بالطاغوت على الإيمان به كما قدم النفي على الإثبات في كلمة التوحيد: لا إله إلا الله, وذلك تنبيهاً على أهمية هذا الركن, وعظيم قدره, وأن الإيمان لا يتحقق إلا به, وفيه نكتة فريدة: وهي أن القلب الممتليء بالطاغوت: محبة, ومودة, وتعظيماً, ورهبة, وقبولاً, وانقياداً, وطاعةً, ومتابعةً: لا يكون فيه متسع للإيمان بالله إذ المشغول لا يشغل, فكانت التخلية قبل التحلية, فهما أمران لا يجتمعان في قال عبد: الإيمان بالطاغوت, والإيمان بالله .

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب واحد "(1) .

* وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من قال لا إله إلا الله, وكفر بما يعبد من دون الله: حرم ماله ودمه, وحسابه على الله "(2) .

قال محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_: فقوله: " وكفر بما يعبد من دون الله ": تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد: لم يعصم دمه وماله .

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى:{ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم }, الرشد: دين محمد صلى الله عليه وسلم، والغي: دين أبي جهل، والعروة الوثقى: شهادة لا إله إلا الله, وهي متضمنة للنفي والإثبات, تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله, وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له](3) .

فـ (المرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيد، ولكنه يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من اهل الشرك, وترك موالاة اهل التوحيد ونصرتهم: فيكون متبعاً لهواه, داخلاً من الشرك في شعب: تهدم دينه وما بناه، تاركاً من التوحيد اصولاً وشعباً لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه: فلا يحب, ولا يبغض لله, ولا يعادي, ولا يوالي لجلال من انشاه وسوّاه، وكل هذا يؤخذ من شهادة ان لا إله إلا الله)(4) .

قال الشيخ سليمان بن سحمان_ رحمه الله_:

فمن لم يعاد المشركين ولـــم ... يوال ولم يبغض ولم يتجنـــب
فليس على مـــهاج سنة احمد ... وليس على نهج قويـــم معرب

(1) " السلسلة الصحيحة: 1050 " .

(2) " مسلم1/53 " .

(3) " الدرر السنية1/163 " .

(4) " الدرر السنية_ جزء الجهاد/681 " .

ـــ ولقد كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وزمن الاستضعاف قائمة على الدعوة للتوحيد مع البراءة من الشرك, وأهله, وقد سبق معنا:

* قوله تعالى في سورة النحل **المكية**: { ثم أوحينا إليك **أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** }

* وقوله تعالى آمراً له صلى الله عليه وسلم: { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ **قُلْ** إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي **بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** } .

* وقوله تعالى_ أيضاً_: { وَإِنْ كَذَّبُوكَ **فَقُلْ** لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ **وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ** } .

* وقوله تعالى: { **قُلْ** يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } .

ـ وهذا كله من القرآن المكي زمن الاستضعاف, وتخلف القوة, والنصرة, وعدم التمكين ! .

قال الشيخ حمد بن عتيق_ رحمه الله_: [فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه: أنا بريء منه, وديني الذي أنا عليه: أنتم براء منه، **والمراد: النصريح لهم بأنهم على الكفر، وإنه بريء منهم ومن دينهم**، فعلى من كان متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم: أن يقول ذلك، ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك، ولهذا لما علم الصحابة بذلك، وآذاهم المشركون: أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين لما أمرهم بالهجرة إلى بلد الغربة][1] .

* وعن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ .

قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط: **سفه أحلامنا, وشتم ابائنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب الهتنا**, **لقد صبرنا منه على أمر عظيم** .

قال: فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما ان مرّ بهم: غمزوه ببعض ما يقول .

قال: فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى، فمر بهم الثانية: فغمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى ثم مرّ بهم الثالثة: فغمزوه بمثلها، فقال: تسمعون يا معشر قريش، اما والذي نفس محمد بيده: **لقد جئتكم بالذبح** .

فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كانما على راسه طائر واقع حتى إن اشدهم فيه وصاه قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا ابا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً.

قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم، فقال بعضهم

(1) " سبيل النجاة والفكاك/67 " .

لعض: ذكرتم ما بلغ منكم, وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون: تركتموه ! .

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم: وثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: **أنت الذي تقول كذا, وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم** .

قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **نعم, أنا الذي أقول كذا** .

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق_ رضي الله عنه_ دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟! .

ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط "[1] .

* وعن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة في قصة بعث قريش في طلب المسلمين المهاجرين إلى الحبشة, قالت: "لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها حين جاء النجاشي ...

قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب, قال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية: نعبد الأصنام ونأكل الميتة, ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار, ويأكل القوي منا الضعيف .

فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه, وصدقه وأمانته, وعفافه, فدعانا إلى الله: لتوحيده ولنعبده, **ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان** ... "[2] .

* وعن عمرو بن عبسة السلمي_ رضي الله عنه_, قال: ' كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة, وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان, فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جرءاء عليه قومُه, فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت ؟ .

قال: أنا نبي .

فقلت: وما نبي ؟ .

قال: أرسلني الله .

فقلت: وبأي شيء أرسلك ؟ .

قال: أرسلني بصلة الأرحام, **وكسر الأوثان** وأن يُوحد الله لا يشرك به شيء "[3] .

وكسرُ الاوثان_ بشرية كانت او حجرية_: اظهر مظاهر البراءة من الشرك, واهله .

---

(1) صحيح من حديث عبد الله بن عمرو_ رضي الله عنهما_: " ابن حبان526/14 ", " البزار458/6 ", " احمد218/2 ", وانظر: "المجمع15/6 ", "فتح الباري169/7 ", "تغليق التعليق86/4 ", والحديث صححه العلامة احمد شاكر في تحقيقه للمسند: " 7036 ".

(2) " ابن خزيمة13/4 ", " احمد201/1: 202, 290/5: 291 ", " حلية الاولياء115/1 ", " صفوة الصفوة513/1: 514 ", ورجاله: رجال الصحيح, وفيه ابن إسحاق, وقد صرح بالسماع, فالحديث حسن, وانظر: " المجمع25/6: 27 " .

(3) " مسلم569/1 " .

ــ وهكذا, فلم تكن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة زمن الاستضعاف قائمة على الغموض, وعدم وضوح الموقف من الباطل وأهله, ومحاولة التملص والتحاشي بشتى الطرق والسبل عن إنزال حكم الله في هذا الواقع, والبحث عن الحجج التبريرية لذلك, وإنما كانت قائمة ومنذ اليوم الأول لها على موقف أوضح من الشمس في رابعة النهار من القوم وممّا هم عليه مع التصريح لهم بهذا الموقف, وهو أنهم: كفار, مشركون, ليسوا على شيء { **قل يا أيها الكافرون** }, فلا مداهنة, ولا تزيين للباطل, ولا وقوف في منتصف الطريق, ولا محاولة للبحث عن القواسم المشتركة للالتقاء مع الباطل من خلالها, وإنما هو وضوح المفاصلة, ووضوح الأساس الذي قامت عليه: { **لكم دينكم ولي دين** } .

ـ ـ ولذا, فقد كان هؤلاء الكفار المشركون يحاولون جاهدين بشتى الطرق والوسائل أن يزحزحوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه عن هذه المفاصلة بأن يكفوا عن تكفيرهم, وعيب دينهم, وآلهتهم في مقابل أن يُقرّ لهم المشركون بكثير من جزئيات دعوتهم دون هذا الأصل .

* قال تعالى مشيراً إلى محاولات أهل الباطل تحريف الدعوة وصرفها عن أصل المفاصلة, والتميز: { فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } [القلم: 8_9] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَدُّوا }, أي: المشركون, { لَوْ تُدْهِنُ }, أي: توافقهم على بعض ما هم عليه؛ إما بالقول أو الفعل أو السكوت عمّا يتعين الكلام فيه: { فَيُدْهِنُونَ }, ولكن اصدع بامر الله, وأظهر دين الإسلام, **فإن تمام إظهاره: نقض ما يضاده, وعيب ما يناقضه**](1) .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا } [الإسراء: 73_74] .

ــ إذاً فلم يرض الله تعالى لدعوته إلا وضوح المفاصلة, والإصرار عليها, والثبات على هذه البراءة من الشرك, وأهله, وعدم الالتقاء مع الباطل التقاءً يكون فيه إقرار له بما هو عليه من شرك, وصرف للعبادة لغير الله .

ودعوة بهذا الشأن تقوم على مفاصلة الباطل, وبيان حكم الله فيه, والبراءة من الشرك وأهله, وعدم الالتقاء معهم رفضاً لتبعيض العبودية, وإصراراً على صرف العبادة كلها لله وحده: دعوة بهذا الشأن من البدهي أن يشمّر لها المشركون عن ساق البغضاء, وأن يناصبوها العداء, وأن ينصبوا لها الحرب الضروس, وأن يسعوا لاجتثاثها, والقضاء عليها بكل طريق, وقد كان .

غير أن هذا كله: لم يصرف المسلمين عمّا كانوا عليه, ولم يحرفهم عمّا أراده الله منهم, وإنما هو الصبر, والثبات, وإيثار الآجلة على العاجلة .

يقول الشيخ حمد بن عتيق_ رحمه الله_: [فليتأمّل العاقل, وليبحث الناصح لنفسه عن السبب الحامل لقريش على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من مكة وهي اشرف البقاع، فإن المعلوم انهم ما اخرجوهم إلا بعدما صرّحوا لهم بعيب دينهم وضلال ابائهم، فارادوا منه صلى الله عليه وسلم الكف عن ذلك وتوعدوه واصحابه بالإخراج، وشكا إليه اصحابه شدة اذى المشركين لهم، فامرهم بالصبر والتاسي بمن

---

(1) " تفسير السعدي/644 " .

كان قبلهم ممن أوذي، ولم يقل لهم اتركوا عيب دين المشركين, وتسفيه أحلامهم: فاختار الخروج بأصحابه, ومفارقة الأوطان مع أنها أشرف بقعة على وجه الأرض { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً }][1] .

ـ وقد سبق معنا أن أنبياء الله ورسله أقاموا دعوتهم على البراءة من الشرك, وأهله بعد الدعاء إلى التوحيد مع ما هم عليه من استضعاف, ومع أن الصولة, والجولة, والدولة بأيدي أعدائهم الكفار المشركين .

* قال تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: { إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ **فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } [هود: 54_55] .

(وإن الإنسان ليدهش لرجل يواجه هؤلاء القوم الواثقين بآلهتهم المفتراة هذه الثقة، فيسفه عقيدتهم, ويقرعهم عليها ثم يهيج ضراوتهم بالتحدي؛ لا يطلب مهلة ليستعد استعدادهم، ولا يدعهم يتريّثون: فيفثأ غضبهم .

إن أصحاب الدعوة إلى الله في كل مكان وزمان بحاجة إلى أن يقفوا طويلاً أمام هذا الموقف الباهر ...

رجل واحد لم يؤمن معه إلا القليل يواجه أعتى أهل الأرض, وأغنى أهل الأرض وأكثر أهل الأرض حضارة مادية في زمانهم ...

فهم العتاة الجبارون الذين يبطشون بلا رحمة، والذين أبطرتهم النعمة، والذين يقيمون المصانع يرجون من ورائها الامتداد والخلود ...

إنه الإيمان والثقة, والاطمئنان: الإيمان بالله، والثقة بوعده، والاطمئنان إلى نصره ... { إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو اخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم } [هود: 56] .

وهؤلاء الغلاظ الأشداء من قومه إنْ هم إلا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربه بناصيتها ويقهرها بقوته قهراً ...

فما خوفه من هذه الدواب وما احتفاله بها ؟, وهي لا تُسلط عليه إنْ سلطت إلا بإذن ربه ؟ وما بقاؤه فيها وقد اختلف طريقها عن طريقه ؟)[2] .

* والخليل إبراهيم عليه السلام, والذين معه لما قالوا لقومهم: { إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ }: كانوا فئة قليلة مستضعفة مجردة من اسباب القوة المادية بل مجردة من كل حول وطول إلا بالله وحده .

وقد استفتح الله تعالى هذه الاية بقوله مخاطباً امة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه }, وقال تعالى مرة اخرى بعد ان قصّ عليهم تبرؤ إبراهيم عليه السلام هو ومن معه من قومهم المشركين حال ضعفهم, وقلتهم تأكيداً, وتنبيهاً: { لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله

---

(1) " الدرر السنية_جزء الجهاد/199 " .

(2) " في ظلال القران/1899 " .

واليوم الآخر ومن يتولّ فإن الله هو الغني الحميد } .

فجعل الله لنا فيهم أسوة حسنة في تبرؤهم من قومهم المشركين مع ما هم عليه من الاستضعاف, والخلو التام من أسباب التمكين بل ومن أسباب القدرة على ردّ عادية المشركين, وقد كان ما كان من إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار التي أنجاه الله وحده منها .

وتأمّل قوله تعالى: { لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** }: فالتأسي بهم هنا: دليل الإيمان بالله, واليوم الآخر .

ــ وإنما كانت البراءة من الشرك وأهله, وما فيها من مفاصلة الباطل واجتنابه من أهم أسس دعوة الأنبياء والمرسلين_ ومن ورائهم: الطائفةُ المنصورة_ بغض النظر عمّا هم عليه من استضعاف أو تمكين: كون إظهار الدين لا يتم, ولا يتحقق إلا بهذه البراءة, وما تتضمنه من مفاصلة واجتناب أما " التميّع ": فهو الفساد العريض, والفتنة الجامحة التي لا تدانيها فتنة في الدين كما أنه الفاقرة القاصمة خاصة لظهور من نصبوا أنفسَهم مبلغين عن الله ! .

(وهذا التميّع: هو أخطر ما يعانيه هذا الدين في هذه الحقبة من التاريخ، وهو أفتك الأسلحة التي يحاربه بها أعداؤه الذين يحرصون على تثبيت لافتة الإسلام على أوضاع, وعلى أشخاص يقرر الله سبحانه في أمثالهم أنهم مشركون لا يدينون دين الحق, وأنهم يتخذون أرباباً من دون الله .

وإذا كان أعداء هذا الدين يحرصون على تثبيت لافتة الإسلام على تلك الأوضاع, وهؤلاء الأشخاص: فواجب حماة هذا الدين: أن ينزعوا هذه اللافتات الخادعة، وأن يكشفوا ما تحتها من شرك, وكفر, واتخاذ أرباب من دون الله, {وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون})[1] .

قال الشيخ حمد بن عتيق_ رحمه الله_: [إن كثيراً من الناس قد يظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين, وأن يصلي الصلوات الخمس، ولا يُرد عن المسجد: فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين، **وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط** .

واعلم ان الكفر له انواع, واقسام بتعدد المكفرات وكل طائفة من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوع منه، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه **حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عدها, ويصرح لها بعداوته، والبراءة منه**][2]

.

وقال_ رحمه الله_ ايضاً_: [وإظهار الدين: تكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم, والبراءة منهم, والتحفظ من موادتهم والركون إليهم, واعتزالهم، وليس فعل الصلوات فقط إظهاراً للدين][3] .

وقال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن_ رحمه الله_: [ودعوى من اعمى الله بصيرته وزعم ان إظهار الدين: هو عدم منعهم من يتعبد او يدرس: دعوى باطلة، فزعمه مردود_ عقلاً وشرعاً_، وليَهْنَ من كان في بلاد

([1]) "في ظلال القران/1634 " .

([2]) "سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين واهل الإشراك/92: 93 " .

([3]) " الدرر السنية_ جزء الجهاد/196 " .

النصارى والمجوس, والهند ذلك الحكم الباطل لأن الصلاة والآذان والتدريس موجود في بلدانهم][1] .

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن_ رحمه الله_: [وهذا هو إظهار الدين لا كما يظن الجهلة من أنه إذا تركه الكفار وخلوا بينه وبين أن يصلي ويقرأ القرآن, ويشتغل بما شاء من النوافل: أنه يصير مظهراً لدينه: **هذا غلط فاحش** فإن من يصرح بالعداوة للمشركين والبراءة منهم لا يتركونه بين أظهرهم بل إما قتلوه وإما أخرجوه إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً كما ذكره الله عن الكفار قال تعالى: { وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا } [إبراهيم: 13], وقال إخباراً عن قوم شعيب: {لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا } [الأعراف: 88], وذكر عن أهل الكهف أنهم قالوا: { إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا }[الكهف: 20] .

وهل اشتدت العداوة بين الرسل وقومهم إلا بعد التصريح بمسبة دينهم وتسفيه أحلامهم, وعيب آلهتهم؟!][2].

قال الشيخ سليمان بن سحمان_ رحمه الله_:

إظهار هذا الدين تصريح لهـــم ... بالكفر إذ هم معشر كفــــــار
وعداوة تبدو وبغض ظاهــــــر ... يا لعقول أما لكم أفكـــــــــار
هــذا وليس القلب كاف بغضه ... والحــب منه وما هو المعيار
لكنما المعيار أن تأتي بــــــــه ... جهـــراً وتصريحاً لهم وجهار(3)

ـ ولأبي الوفاء بن عقيل هنا كلامٌ حسنٌ, جميل حيث يقول_ رحمه الله_:

[إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمان: فلا تنظر إلى ازدحامهم في أبواب المساجد ولا في ضجيجهم بلبيك, ولكن انظر إلى مواطآتهم لأعداء الشريعة، فاللجأ, اللجأ إلى حصن الدين والاعتصام بحبل الله المتين، والانحياز إلى أوليائه المؤمنين، والحذر الحذر من أعدائه المخالفين، فأفضل القرب إلى الله تعالى: مقتُ من حادّ الله ورسوله وجهاده باليد واللسان, والجنان بقدر الإمكان][4] .

([1]) " الدرر السنية_ جزء الجهاد/141 " .

([2]) "ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان/76: 77 " .

(3) البراءة من الشرك واهله تكون بالقلب, واللسان, والجوارح, والمشترط منها لصحة الإيمان ما كان بالقلب اما ما يتعلق باللسان, والجوارح فلا يجب إلا عند القدرة والاستطاعة, والطائفة المنصورة: تحقق البراءة من الشرك واهله في دعوتها بمجموعها_ اي: كطائفة_ لا باحادها_ اي: كافراد_ إذ قد تتخلف القدرة والاستطاعة في حق بعض الافراد: فيسعهم الاخذ بالرخصة هنا مع الاتفاق على ان العزيمة افضل .

([4]) " الدرر السنية_ جزء الجهاد/238 " .

المطلب الخامس

الدعوة إلى الدين كله

فالدعوة إلى الدين كله: من الأسس التي تقوم عليها الدعوة عند الطائفة المنصورة, فأهل الطائفة المنصورة: يدعون إلى الدين كله بقدر الوسع والطاقة, يدعون إلى كل ما جاء به نبيُهم محمد صلى الله عليه وسلم: قولاً, وفعلاً, واعتقاداً, فدعوتهم تنطلق من الأصول كما تنتظم الفروع, وتركز على الكليات كما تشمل الجزئيات, وتقدّم الفرائض والواجبات كما تتمسك بالسنن والمستحبات, كل هذا في تمازج عذب بديع, فلا شطط, ولا وكس, وإنما كل بقدره, وكل بحقه .

* قال تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } .

فدين الله قد اكتمل: فوجبت الدعوة إليه كله, وكما أنه ليس لأحد كائناً من كان أن يزيد في الدين ما ليس منه: فكذلك ليس لأحد كائناً من كان أن ينقص ويخرج من الدين ما هو منه .

* وقد قال تعالى: { ادع إلى **سبيل ربك** بالحكمة والموعظة الحسنة } .

فكلُ ما كان من سبيل ربنا: وجبت الدعوة إليه .

* وقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين }

[البقرة: 208] .

عن مجاهد_ رحمه الله_ في قول الله عز وجل: { ادخلوا في السلم كافة }, قال: " ادخلوا في الإسلام كافة, ادخلوا في الأعمال كافة "[1] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [يقول الله تعالى امراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الاسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره, وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد, وطاوس والضحاك وعكرمة, وقتادة والسدي وابن زيد في قوله: { ادخلوا في السلم}, يعني الإسلام, وقال الضحاك عن ابن عباس وابو العالية والربيع بن انس: { ادخلوا في السلم }, يعني: الطاعة ...][2] .

* وقال تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتّقُوا الله إِنّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ }[الحشر: 7].

فأمرنا الله تعالى بأن نعمل بكل ما جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه سبحانه وتعالى: امراً, ونهياً, فقوله: { وَمَا آتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ }, اي: جميع ما اتاكم به من عند ربه, وليس بعضه دون بعضه, وقوله: {وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }, اي: جميع ما نهاكم عنه, فهو امر (شامل لاصول الدين وفروعه, وظاهره

---

(1) " تفسير الطبري325/2 " .

(2) " تفسير ابن كثير248/1 " .

وباطنه)[1] .

فكانت الدعوة واجبة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم لا لبعضه دون بعض, وذلك أنّا (حين أمرنا بالاقتداء به: أمرنا أمراً مطلقاً في قوله تعالى: { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا })[2] .

* وبنحو هذه الآية السابقة: قوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً } [الأحزاب:21] .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم: أسوة مطلقاً في كل ما جاء به من الدين: قولاً, وفعلاً, واعتقاداً: فوجب الدعوة لذلك جميعه دون بعضه وإلا لم يكن صلى الله عليه وسلم أسوة فيما تُرك العملُ به والدعوة إليه, وهو باطل, مناقض للإيمان بكونه صلى الله عليه وسلم أسوةً مطلقاً .

* وقال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله **فَاتَّبِعُونِي** يُحْبِبْكُمُ الله } [آل عمران: 31] .

فهو أمر مطلق بالاتباع لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الدين فمن اتبع في البعض دون البعض الآخر: كان مخالفاً مخالفة بينة للأمر هنا, غير محقق لما وجب عليه من اتباعه صلى الله عليه وسلم .

* وقد قال تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

فمن ترك اتباعه صلى الله عليه وسلم في بعض أمره: دخل دخولاً أولياً في هذه الآية, وشمله الوعيد المذكور.

وقد جاء عن أبي بكر الصديق_ رضي الله عنه_ أنه قال: "لست تاركاً **شيئاً** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به: إلا عملت به إني أخشى إن تركت **شيئاً** من أمره أن أزيغ "[3] .

* وقال تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنّ الله لَا يُحِبّ الْكَافِرِينَ } [آل عمران:] .

والايات التي تأمر أمراً مطلقاً بطاعة الله, ورسوله صلى الله عليه وسلم: كثيرة جداً, وهذا ممّا يعلم بالاضطرار من دين الإسلام .

* وعن أبي هريرة_ رضي الله عنه_ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دعوني ما تركتكم, إنما أهلك من كان قبلكم: سؤالهم واختلافهم على انبيائهم, فإذا نهيتكم عن شيء: فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر: فأتوا منه ما استطعتم "[4] .

* ولمّا سُئلت امّ المؤمنين عائشة_ رضي الله عنها_ عن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: " كان خُلُقه

([1]) " تفسير السعدي/625 " .

([2]) " تفسير القرطبي/57/18 " .

([3]) " الاعتصام/60/1 " .

([4]) " البخاري/2658/6 ", " مسلم/1830/4 " .

القرآن "[1] .

فالقرآن كله بجميع تعاليمه, وأوامره ونواهيه: هو ميدان عمل النبي صلى الله عليه وسلم, وميدان دعوته صلى الله عليه وسلم, وهو ما أمرنا بالاقتداء, والتأسي به .

* وفي رواية: "كان خلقه القرآن: يغضب لغضبه, ويرضى لرضاه "[2] .

وللشاطبي_ رحمه الله_ كلام بديع جداً هنا حيث قال: [وإنما كان خلقه القرآن: لأنه حَكّم الوحي على نفسه حتى صار في علمه وعمله على وفقه فكان الوحي: حاكماً وافقاً قائلاً, وكان هو عليه الصلاة والسلام: مذعناً ملبياً نداءه, واقفاً عند حكمه, وهذه الخاصية كانت من أعظم الأدلة على صدقه فيما جاء به إذ قد جاء بالأمر: وهو مؤتمر وبالنهي: وهو منته, وبالوعظ: وهو متعظ, وبالتخوف: وهو أول الخائفين وبالترجية: وهو سائق دابة الراجين .

وحقيقة ذلك كله: جَعْلُه الشريعة المنزلة عليه حجة: حاكمةً عليه, ودلالةً له على الصراط المستقيم الذي سار عليه عليه السلام][3] .

_ـ وقد ذمّ الله تعالى هؤلاء الذين يبعضون الدين من أهل الكتاب تبعاً لأهوائهم: فياخذون البعض, ويتركون البعض الآخر, وقد جعل الله تعالى ذلك منهم: إيماناً بما أخذوا, وكفراً بما تركوا, وهو تنبيه لهذه الأمة أن لا تسلك مسلكهم: فيصيبها ما أصابهم .

* قال تعالى: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عمّا تَعْمَلُونَ } [البقرة: 85] .

* وقال تعالى_ ايضاً_: { وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً } [النساء: 151] .

* وقال تعالى: { وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }

[الحجر: 89_91] .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس_ رضي الله عنهما_, قال: " هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء: فآمنوا ببعضه, وكفروا ببعضه "[4] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [وقوله: { الذين جعلوا القران عضين }, اي: جزءوا كتبهم المنزلة عليهم: فامنوا

---

(1) " مسلم 513/1 " .

(2) " الاوسط30/1 ", " الشعب للبيهقي154/2 " .

(3) " الاعتصام500/2 " .

(4) " البخاري1435/3, 1738/4 ", وانظر: "تفسير الطبري61/14: 64 " .

ببعض وكفروا ببعض ...][1] .

ـــ ولِما تقدم: فأهل الطائفة المنصورة لا يبعضون الاتباع فعلَ أهل البدع الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض, فلا يُفرّق أهل الطائفة المنصورة الدين إلى: أصول وفروع أو إلى كليات وجزئيات على المعنى البدعي المراد من هذه التقاسيم, والذي يعني: طرح الثاني منهما, وعدم العمل به فضلاً عن تقسيم الدين إلى لباب وقشور تعالى دين الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً .

نعم: الدين عند أهل الطائفة المنصورة على مراتب: بعضها فوق بعض إلا أن هذا لا يعني عندهم تضييع الفروع أو الجزئيات وعدم الدعوة إليها, والعمل بها حال القدرة والعلم فضلاً عن اتخاذها سخرياً: استهزاءً بها وبأصحابها, ولن يفلح إلا من أخذ الدين كله .

* عن عدي بن حاتم_رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه: فلا يرى إلا ما قدم من عمله, وينظر أشأم منه: **فلا** يرى إلا ما قدم, وينظر بين يديه: فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه, فاتقوا النار **ولو بشق تمرة, ولو بكلمة طيبة**"[2] .

* وفي رواية عن عدي_ رضي الله عنه_ أيضاً_: " وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك, فيقول: بلى, فيقول: ألم أعطك مالاً, وولداً وأفضل عليك, فيقول: بلى, فينظر عن يمينه: فلا يرى إلا جهنم, وينظر عن يساره: فلا يرى إلا جهنم .

قال عدي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة, فمن لم يجد شق تمرة: فبكلمة طيبة "[3] .

* وعن أبي ذر_ رضي الله عنه_, قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق "[4] .

* وعن سهل بن سعد_ رضي الله عنه_ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم ومحقرات الذنوب..." الحديث[5] .

* وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه من جميع جوانبه** "[6] .

---

(1) " تفسير ابن كثير559/2 ", انظر الاقوال الواردة في الاية: "تفسير الطبري61/14: 66 " .

(2) " البخاري2729/6 ", " مسلم703/2 " .

(3) " البخاري1317/3 " .

(4) " مسلم2026/4 " .

(5) " المسند331/5", " الصغير129/2 ", " الاوسط219/7: 220 ", " الكبير165/6", والحديث مروي عن ابن مسعود, وانظر: " المجمع189/10: 190 " .

(6) " الثقات لابن حبان80/1: 88 ",وحسنه الحافظ ابن حجر في " الفتح220/7 ",وعزاه إلى الحاكم,وابي نعيم, والبيهقي في الدلائل .

ـــ ومن روائع نماذج أخذ الدين كله, والجمع بين الأصول والفروع, والكليات والجزئيات مع الاهتمام بأمر الإسلام وأهله, وعدم تبعيض الاتباع ولو في أحرج الأوقات التي قد يطيش فيها اللب, ويذهل: ما ورد في قصة مقتل الفاروق عمر بن الخطاب_رضي الله عنه_:

* عن عمرو بن ميمون قال: ' رأيت عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_ قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف, قال: كيف فعلتما, **أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق**؟.

قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة, ما فيها كبير فضل .

قال: **انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق** ! .

قال: قالا: لا .

فقال عمر: **لئن سلمني الله, لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً** .

قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب, قال: إني لقائم ما بيني بينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب, **وكان إذا مرّ بين الصفين**, قال: **استووا حتى إذا لم ير فيهم خللاً**: **تقدم فكبر**, وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبّر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمرّ على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجلُ من المسلمين طرح عليه برنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه .

وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدّمه, فمن يلي عمر: فقد رأى الذي أرى, وأما نواحي المسجد: فإنهم **لا** يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله, سبحان الله .

فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة, فلما انصرفوا, قال: يا ابن عباس, انظر من قتلني ؟ .

فجال ساعة ثم جاء, فقال: غلام المغيرة .

قال: الصنَّع ؟ .

قال: نعم .

قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفاً الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام, **قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة**_ وكان العباس اكثرهم رقيقاً_ .

فقال: إن شئت فعلت اي: إن شئت: قتلنا .

قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم, وحجوا حجكم .

فاحتمل إلى بيته, فانطلقنا معه وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول: لا باس, وقائل يقول: اخاف عليه .

فاتي بنبيذ فشربه: فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشربه: فخرج من جرحه: فعلموا انه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه, وجاء رجل شاب, فقال: ابشر يا امير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت: فعدلت ثم شهادة .

قال: وددت أن ذلك كفاف: **لا علي ولا لي** .

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض .

قال: **ردّوا علي الغلام**, قال: **يا ابن أخي**, **ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك**, **وأتقى لربك** ...

فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف .

قال: ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ, فسمى: علياً, وعثمان, والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن, وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له, فإن أصابت الإمرة سعداً: فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة .

وقال: **أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم, ويحفظ لهم حرمتهم** .

وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم: أن يقبل من محسنهم, وأن يعفى عن مسيئهم .

وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام, وجباة المال, وغيظ العدو, وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم .

وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب, ومادة الإسلام: أن يؤخذ من حواشي أموالهم, ويرد على فقرائهم .

وأوصيه بذمة الله تعالى, وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم: أن يوفى لهم بعهدهم, وأن يقاتل من ورائهم, ولا يكلفوا إلا طاقتهم ... "(1) .

ففي هذه اللحظات الحرجة: لحظات النزع والتي هي أحرج لحظات تواجه المرء وتتزاحم عليه فيها الافكار والخواطر: يَضرب لنا الفاروق_ رضي الله عنه_ أروع نماذج الدعوة إلى الدين كله بغير تبعيض, ولا تجزئة, فمع الحرص على تذكير المسلمين بمسائل الدين الكبار, ومقاصده الكلية, وعظيم الاهتمام بأمر المسلمين: لم يغفل عن رؤية الشاب وقد أسبل إزاره, فيطلبه لينهه عن ذلك بقوله: ' يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه انقى لثوبك, واتقى لربك ' كما لم يغفل من قبل وهو من كان يتفقد احوال المسلمين العامة, وارامل اهل العراق أن يسوّي الصفوف في الصلاة, ويسد الخلل, فرحمه الله من إمام فرد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [وكل ما احبه الله ورسوله من واجب ومستحب, ومن باطن وظاهر؛ فمن الدعوة إلى الله: الامر به .

وكل ما ابغضه الله ورسوله من باطن وظاهر: فمن الدعوة إلى الله: النهي عنه, لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى ان يفعل ما احبه الله, ويترك ما ابغضه الله سواء كان من الاقوال او الاعمال الباطنة او

---

(1) " البخاري3/1353: 1356 " .

الظاهرة](1) .

ـ ـ ومن صور تبعيض الاتباع التي يَحذر منها أهلُ الطائفة المنصورة أشد ما يكون الحذر: تبعيض "السنة", وتبعيض " الحق "؛ في حين تُرفع الأصواتُ بالدعوة إلى تحقيق " السنة ", واتباع " الحق " في بعض المسائل بأشدّ ما تكون الدعوة إلى تحقيق " السنة ", واتباع " الحق ": اعتصاماً بكتاب الله, وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم, وتمسكاً بما كان عليه السلف: يكون الإعراض بالكلية في مسائل أخر_ أعلى مرتبة وأهم_ عن دعوة الاعتصام بالكتاب والسنة, والتمسك بما كان عليه السلف, فلا يُقدّر لهذه الدعوة هنالك قدراً, ولا يرفع بها رأساً بل على العكس تماماً: يكون التمحل في رد الحق كيفما اتفق ولو باللجوء إلى أهل البدع وشبهاتهم, ولله في خلقه شؤون .

وهذه الصورة: هي تناقض صارخ, يفضح أصحابه, ويكشف زيفهم, ويبين حقيقة دعوتهم, وأنها ادعاء لا دعوة, وأنهم أدعياء لا دعاة .

ولأصحاب هذا المسلك نصيب وافر من قوله تعالى: { وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف عليهم الله ورسوله } [النور: 48_50] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقَّ يَأْتُوا إِلَيْهِ }, أي: إلى حكم الشرع { مُذْعِنِينَ } وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي, وإنما ذلك لأجل موافقة أهوائهم فليسوا ممدوحين في هذه الحال, ولو أتوا إليه مذعنين لأن العبد حقيقة: من يتبع الحق فيما يحب ويكره, وفيما يسره ويحزنه وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه, وينبذه عند مخالفته, ويقدم الهوى على الشرع: فليس بعبد لله على الحقيقة](2) .

* وقد سبق معنا قوله تعالى: { يا أيها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين } [البقرة: 208] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [هذا أمرٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا { فِي السِّلْمِ كَافَّةً }, أي: في جميع شرائع الدين, ولا يتركوا منها شيئاً, **وأن لا يكونوا ممّن اتخذ إلهه هواه: إنْ وافق الأمر المشروع هواه:** فعله, **وإن خالفه: تركه بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين**, وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير, وما يعجز عنه: يلتزمه وينويه, فيدركه بنيته](3) .

قال الإمام البخاري_ رحمه الله_: " فمن ردّ بعض السنن ممّا نقله اهل العلم: فيلزمه ان يَردّ باقي السنن حتى يتخلى عن السنن والكتاب وأمر الإسلام أجمع, والبيان في هذا كثير "(4) .

---

(1) " الفتاوى 15 / 164 " .

(2) " تفسير السعدي/410 " .

(3) " تفسير السعدي/48 " .

(4) " خلق افعال العباد/76 " .

فـ (نعوذ بالله من أن نجعل القرآن عضين: فنوجب بعضاً, ونلغي بعضاً)(1) .

ـ ـ وممّا يحذره أهل الطائفة المنصورة_ كذلك_ من صور تبعيض الاتباع, وعدم الدعوة إلى الدين كله: الاقتصار في الدعوة على الجزئيات دون الكليات, وعلى الفروع مع تضييع الأصول, وعلى سنن ومستحبات مع ترك فروض وواجبات, وعلى مسائل وقضايا مع التفريط تماماً فيما هو أهم وأعظم وأكبر وأحب إلى الله سبحانه وتعالى, وهذا: خلل بين, ومنهج فاسد معكوس: شرعاً, وعقلاً, ووضعاً, وفيه مخالفة ظاهرة لمنهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله .

* وقد سبق معنا قوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: 7] .

فأمرنا المولى تعالى بأن نأخذ كلَّ ما آتانا به صلى الله عليه وسلم بحسب الوسع والطاقة, ولا نفرق بينه تبعاً لأهواء النفس وحظوظها .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [أي: مهما أمركم به: فافعلوه ومهما نهاكم عنه: فاجتنبوه, فإنه يأمر بخير وإنما ينهى عن شر](2) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [والرسول صلى الله عليه وسلم قام بهذه الدعوة, فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به, ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه: أمر بكل معروف, ونهى عن كل منكر](3) .

ـ ـ وأعظم المنكرات التي جاء صلى الله عليه وسلم لإزالتها, والقضاء عليها: هي عبادة الطاغوت من دون الله تعالى بصرف العبادة له في أي صورة من صورها, وأساس ذلك, وأسه: أن يكون له حق الطاعة, والاتباع, فهذا هو: المنكر الأكبر, والشرك الأعظم, والكفر البواح واتخاذ الأنداد الذي ما بُعث الرسل إلا للقضاء عليه .

* قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } [النحل: 36] .

* وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ **وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } .

قال الإمام ابن القيم_ رحمه الله_: [الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم: **من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله** او يعبدونه من دون الله او **يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة لله** .

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأمّلت احوال الناس معها رايت اكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى طاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى

---

(1) " المحلى لابن حزم 347/8 " .

(2) " تفسير ابن كثير 337/4 " .

(3) " الفتاوى 161/15 " .

طاعة الطاغوت ومتابعته][1] .

فمن غير المقبول انشغال البعض (بالتنبيه إلى مخالفات صغيرة، وإلى منكرات صغيرة، ويحسبون أنهم أدوا واجبهم كاملاً بهذه الصيحات الخافتة، بينما الدين كلّه يُسحقُ سحقاً, ويُدمَّر من أساسه، وبينما سلطان الله يغتصبه المغتصبون، وبينما الطاغوت_ الذي أمروا أن يكفروا به_ هو الذي يحكم حياة النّاس جُملةً وتفصيلاً!!!)[2] .

ـ وتأمّل ما قرره الشاطبي_ رحمه الله_ بقوله: [العُبّاد من هذه الأمة_ ممن يعتبر مثله ههنا_ أخذوا أنفسهم بتخليص الأعمال عن شوائب الحظوظ حتى عدوا ميل النفوس إلى بعض الأعمال الصالحة **من جملة مكائدها** وأسسوها قاعدة بنوا عليها في تعارض الأعمال وتقديم بعضها على بعض: **أن يقدموا ما لا حظّ للنفس فيه أو ما ثقل عليها** حتى لا يكون لهم عمل إلا على مخالفة ميل النفس, **وهم الحجة فيما انتحلوا لأن إجماعهم: إجماع**][3] .

فنص العلماء, وأجمعوا على أن ميل النفوس إلى بعض الأعمال على حساب ما هو أهم: هو من مكائد النفس, وخداعها لصاحبها لصرفه عن الأوجب الأهم ممّا يجب معه تقديم ما لا حظ للنفس فيه وما يثقل عليها ليتجرد العمل لله, ويظهر صدق الاتباع .

وهذه القاعدة في الجملة, فكيف إذا تعلق الأمر بأصل الدين من تحقيق التوحيد, والبراءة من الشرك, وأهله !.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_: [فالله, الله يا إخواني: تمسكوا باصل دينكم، واوّله وأسّه ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين منكم نسباً, واكفروا بالطواغيت, وعادوهم, وابغضوهم، وابغضوا من احبهم او جادل عنهم او لم يكفرهم **او قال ما عليّ منهم او قال ما كلفني الله بهم**: فقد كذب هذا على الله, وافترى إثماً مبيناً، فقد كلف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او إخوانهم، فالله الله: تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً][4] .

فالانشغال بالدعوة إلى جزئيات, ومحاربة بعض المنكرات مع ترك الدعوة إلى أصل الدين بإفراد الله وحده بالعبادة في جميع صورها الظاهرة, والباطنة من صلاة, وصوم, وزكاة, وحج, ودعاء, ونذر, وذبح, وحكم, وتحاكم, وولاء, وبراء, وخوف, وتعظيم, وقبول, وانقياد, وغير ذلك مع البراءة من الشرك وأهله: حاشا أن يكون نهج الطائفة المنصورة او سبيل اهلها .

* وقد قال تعالى: { وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ **بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ** فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } .

---

(1) " إعلام الموقعين1/50 " .

(2) " في ظلال القران/1033: 1034 " .

(3) " الموافقات للشاطبي1/194 " .

(4) " الدرر السنية2/119: 120 " .

* ولما مَنَعَ مَنْ مَنَعَ الزكاةَ بعد وفاة النبي صلى الله عله وسلم: قال الصديق_رضي الله عنه_ قولته المشهورة: ' والله لو منعوني **عقالاً**[1] كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه"(2) .

_ _ فدعوة أهل الطائفة المنصورة: دعوة قرآنية سُنية, ميدانها: كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم, من قول, وفعل, واعتقاد مع مراعاة الأهم, فالأهم كما هي قاعدة الشريعة, وقاعدة: العقول السوية, والطباع السليمة .

ومن المعلوم المقرر أن لكل أمر: حقاً, فلا يتجاوز بالأمر حقه, ولا يقصر به عنه ومما أقره صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم: ' فأعط كل ذي حق: حقه "[3] .

وقاعدة الشريعة في ترتيب الأعمال: " وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي ممّا افترضت عليه "[4] .

* وتأمّل ما رواه أبو هريرة_ رضي الله عنه_ قال: " قال رجل يا رسول الله: إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها, وصدقتها, وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها .

فقال صلى الله عليه وسلم: هي في النار .

قال : يا رسول الله إن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي بلسانها جيرانها .

قال : هي في الجنة "[5] .

فكان تبعيض الاتباع بالانشغال بالنفل مع تضييع الفرض أو بالمفضول مع إهمال الفاضل أو بالمهم مع ترك الأهم: مصادمة صارخة لما جاء به الشرع وقرره ممّا يقدح في حقيقة عبودية العبد، وصدق طاعته لربه إذ النفل لم يشرع إلا لتكميل معنى الطاعة أما الفرائض, والواجبات_ الفعلية, والتركية_: فهي أساس الطاعة, وحقيقة معناها, وهيهات أن يفلح من قصر في واجب لحساب نفل .

* ويروي لنا التابعي الكوفي، الفقيه النبيل: عامر الشعبي_ رحمه الله_: أن رجالاً خرجوا من الكوفة، ونزلوا قريباً يتعبدون، فبلغ ذلك عبد اللهبن مسعود_ رضي الله عنه_، فأتاهم، ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم: "ما حملكم على ما صنعتم ؟ .

قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبّد .

---

(1) وفي رواية: " عناقاً ", وانظر: " فتح الباري 278/12 " .

(2) " البخاري 2657/6 ", " مسلم 51/1 ", وانظر في توجيه قول الصديق_ رضي الله عنه_: " فتح الباري 278/12: 279 " .

(3) " البخاري 694/2, 2273/5 " .

(4) " البخاري 2384/5 " .

(5) صحيح: " ابن حبان 76/13 ", " المستدرك 183/4: 184 ", وغيرهما, وانظر: " المجمع 169/8 " .

فقال عبد الله: "لو أن الناس فعلوا مثل مافعلتم؛ فمَنْ كان يقاتل العدو ؟!, وما أنا ببارح حتى ترجعوا "(1) .

فهي دعوة كاملة لكل ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم مع تقديم ما من حقه التقديم .

وللإمام ابن القيم_ رحمه الله_ كلام بديع رائق في تبعيض الاتباع, حيث قال في صفة أهل العبودية المطلقة:

[العلامة الثانية: قوله: "ولم ينسبوا إلى اسم ", أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به بين الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق, وأيضاً: فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال, **فإن هذا: آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة** .

وأما العبودية المطلقة: فلا يُعرف صاحبُها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم؛ فلا يتقيد برسم, ولا إشارة، ولا اسم, ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي .

بل إن سئل عن شيخه ؟, قال: الرسول وعن طريقه ؟, قال: الاتباع وعن خرقته ؟, قال: لباس التقوى وعن مذهبه ؟, قال: تحكيم السنة, وعن مقصوده ومطلبه ؟, قال: يريدون وجهه, وعن رباطه وعن خانكاه؟, قال: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ }, وعن نَسَبِه ؟, قال:

أبي الإسلامُ لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه ؟, قال: مالك ولها ؟!, معها حذاؤها وسقاؤها: ترد الماء، وترعى الشجر حتى تلقى ربها...

إلى أن قال_ رحمه الله_:

فإن الافات كلها تحت الرسوم والتقيّد بها، ولزوم الطرق الاصطلاحية والأوضاع المتداولة الحادثة، وهذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله وهم لا يشعرون .

وقد سُئل بعض الأئمة عن السنة ؟, فقال: ما لا اسم له سوى السنة، يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها .

فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره أو مشية لا يمشي غيرها او بزي وهيئة لا يخرج عنهما او **عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها** او **شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان اقرب إلى الله ورسوله منه** .

فهؤلاء كلهم: محجوبون عن الظفر بالمطلوب الاعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم، والاوضاع والاصطلاحات **عن تجريد المتابعة**، فأضحوا عنها بمعزل ومنزلتهم منها ابعد منزل، فترى احدهم يتعبد بالرياضة والخلوة، وتفريغ القلب ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق, **فإذا ذكر له الموالاة في الله والمعاداة فيه، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر: عد ذلك فضولاً وشراً، وإذا راوا بينهم من يقوم بذلك:**

(1) " الزهد لابن المبارك/390 " .

أخرجوا من بينهم, وعدوه غَيْراً عليهم، فهؤلاء: أبعد الناس عن الله](1) .

وقال_ رحمه الله_كذلك_: [ليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة بل بالقيام مع ذلك بالأوامر المحبوبة لله، وأكثرُ الديّانينَ لا يعبأون منها إلا بما شاركهم فيه عمومُ الناس .

وأما الجهادُ, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسولهوعباده، ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه: فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم فضلاً عن أن يريدوا فعلها، وفضلاً عن أن يفعلوها .

وأقل الناس ديناً، وأمقتهم إلى الله: من ترك هذه الواجباتِ، **وإن زهد في الدنيا جميعِها**، وقلَّ أن ترى منهم من يُحمرُ وجهُه,ويمعره لله ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه، وأصحابُ الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء](2) .

ولمثل هؤلاء حق القول:

حسبوا بأن الدين عزلةُ راهب	واستمرءوا الأوراد والأذكارا
عجباً أراهميؤمنون ببعضـه	وأرى القلوب ببعضه كفـارا
والدين كان ولا يزالفرائضاً	ونوافــلاً لله واستغفـ ـ ـارا
والدين ميدان وصمصام وفر	سان تبيد الشـــر والأشـــرارا
والدين حكم باسم ربك قائم با	لعــدل لا جوراً ولا استهتارا

_ ومن دقيق فهم الشيخ عبد الرحمن الدوسري_ رحمه الله_ لمعنى عدم تبعيض الاتباع, وكون الدعوة للدين كله: كلامه عند ذكره **لمراتب العبودية** في تفسيره لقول الله تعالى: { إياك نعبد وإياك نستعين }, حيث قال:

[ثم إن إعداد القوة حسب المستطاع: **من واجبات الدين, ولوازم إقامته، فالعابد الصحيح لله لا يَعْتَورَه التسويف في هذا فضلاً عن تركه أو التساهل فيه، وأيضاً: فالعابد لله المصمم على الجهاد في ذاته: يكون منفذاً للغيلة في أئمة الكفر** من دعاة الإلحاد والإباحية وكل طاعن في وحي الله أو مسخر قلمه أو دعايتهِ ضد الدين الحنيف لأن هذا مؤذٍ لله ورسوله صلى الله عليه وسلم: لا يجوز للمسلمين في بقاع الأرض من خصوص وعموم ان يدعوه على قيد الحياة لانه اضرّ من ابن ابي الحقيق وغيره ممن ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اغتيالهم فتَرْكُ اغتيال ورثتهم في هذا الزمان: تعطيل لوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم, **وإخلال فظيع بعبودية الله** وسماح صارخ شنيع للمعاول الهدامة في دين الله، ولا يُفَسّر صدوره إلا من عدم الغيرة لدين الله والغضب لوجهه الكريم، وذلك نقصٌ عظيم في حب الله ورسوله وتعظيمهما **لا يصدر من محقق لعبودية الله بمعناها الصحيح المطلوب**](3) .

فلله درّ الشيخ ثم لله درّه, ورحمه الباري رحمة واسعة .

---

(1) " مدارج السالكين3/ 174: 176 " .

(2) " عدة الصابرين/121 " .

(3) " صفوة الاثار والمفاهيم268/1 " .

ـــ وقد بين الله تعالى سوء عاقبة تبعيض الاتباع وخطورته:

* فقال تعالى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً ممّا ذُكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة } .

فأخبر تعالى أن العمل ببعض الدين, وترك البعض الآخر تفريقاً لأمر الله وتبعيضاً: مدعاة للعداوة, والبغضاء بين أبناء الملة الواحدة, ولا يخفى ما يتبع ذلك, وينتج عنه من آفات تنخر جسد الأمة, وتحيله ركاماً فضلاً عمّا فيه من التعرّض لغضب الله وسخطه غير أن الهوى يعمي, ويصم فلا يرى صاحبه غير نفسه, وحظوظها ولو أصاب الأمة ما أصابها, والله المستعان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [فأخبر أن نسيانهم حظاً ممّا ذكروا به، وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به: **كان سبباً لإغراء العداوة, والبغضاء بينهم** .

وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها، وكثير من فروعه من أهل الأصول والفروع](1) .

ويقول_ أيضاً_: [فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به: **وقعت بينهم العداوة, والبغضاء**](2) .

---

(1) " الفتاوى 14/1: 15 " .

(2) " الفتاوى3/421 " .

المطلب السادس

الاهتمام والتركيز على فرائض الوقت وواجبات الحال

وهذا الأساس: من الأسس الهامة التي تقوم عليها الدعوة عند الطائفة المنصورة, فأهل الطائفة المنصورة يعيشون واقعهم, ولا يغيبون عن هذا الواقع بحجج وأعذار هي ستار لشهوات وشبهات أورثت ضعفاً في أخذ الدين والعمل به .

ـ ـ فأهل الطائفة المنصورة أخذوا الدين بقوة, ومن ثم تحملوا مسؤولياتهم كاملة_ بصدق وأمانة, وبغير خداع للنفس, وتعليل لها بالوهم_ في القيام بأمر الله, والقوامة عليه في واقعهم الذين يعيشون: علماً وعملاً, دعوة وجهاداً؛ فكانت دعوتهم: انعكاساً للواقع وصدىً له .

* قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ** وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: 63] .

عن مجاهد_ رحمه الله_: { خذوا ما آتيناكم بقوة }, قال: " تعملوا بما فيه " .

وعن أبي العالية_ رحمه الله_: { خذوا ما آتيناكم بقوة }, قال: " بطاعة " .

وعن قتادة_ رحمه الله_: { خذوا ما آتيناكم بقوة }, قال: " القوة: الجد " .

وقال ابن زيد_ رحمه الله_: " بصدق وبحق "[1] .

وكل ما ذكر هنا: هو من معاني " القوة " المأمور بها في أخذ الدين .

قال ابن جرير الطبري_ رحمه الله_: [فتأويل الآية إذاً: خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض, فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم في أدائه, بغير تقصير ولا توان, وذلك هو معنى أخذهم إياه بقوة وبجد][2] .

وقال القرطبي_ رحمه الله_: [{ بقوة }, أي: بجد, واجتهاد قاله: ابن عباس وقتادة, والسدي وقيل: بنية, وإخلاص, وعن مجاهد القوة: العمل بما فيه, وقيل: بقوة: بكثرة درس, { واذكروا ما فيه }, اي: تدبروه, واحفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه, ولا تضيعوه .

قلت: هذا هو المقصود من الكتب: العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان, وترتيلها فإن ذلك نبذٌ لها على ما قاله الشعبي وابن عيينة ...

وقال مالك: قد يقرا القران من لا خير فيه فما لَزمَ إذاً مَنْ قبلنا, واخذ عليهم: لازمٌ لنا, وواجبٌ علينا قال الله تعالى: { واتبعوا احسن ما انزل إليكم من ربكم}, فأمر باتباع كتابه والعمل بمقتضاه ولكن تركنا ذلك كما تركت اليهود والنصارى وبقيت اشخاص الكتب والمصاحف لا تفيد شيئاً لغلبة الجهل, وطلب الرياسة واتباع

---

(1) انظر هذه الاثار: " تفسير الطبري326/1 " .

(2) " المرجع السابق " .

الأهواء][1] .

* وقال تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ** وَاسْمَعُوا } .

* وقال تعالى: { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ **فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ** وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } .

* وقال تعالى: { وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ** وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } .

قال ابن جرير_ رحمه الله_: [يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد إذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل كأنه ظلة غمام من الظلام وقلنا لهم: { خذوا ما آتيناكم بقوة } من فرائضنا, وألزمناكم من أحكام كتابنا: فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم في أدائه بغير تقصير, ولا توان][2] .

* وقال تعالى: { يَا يَحْيَى **خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مريم: 12] .

عن قتادة_ رحمه الله_ { خذ الكتاب بقوة }, قال: " بجد " .

وعن مجاهد_ رحمه الله_: { خذ الكتاب بقوة }, قال: " بجد " .

وقال ابن زيد_ رحمه الله_: { يا يحيى خذ الكتاب بقوة }, قال: " القوة: أن يعمل ما أمره الله به ويجانب فيه ما نهاه الله "[3] .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [{ بقوة }, أي: بجد, واجتهاد, قاله: مجاهد وقيل: العلم به, والحفظ له والعمل به, وهو الالتزام لأوامره والكف عن نواهيه][4] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة, أي: بجد واجتهاد وذلك: بالاجتهاد في حفظ الفاظه, وفهم معانيه, والعمل بأوامره ونواهيه, هذا: تمام أخذ الكتاب بقوة][5] .

_ وقد نهى الله تعالى عن اتخاذ دينه هزواً, ولهواً, ولعباً, وذمّ من فعل هذا غاية الذم, وتوعد عليه كما بين أن اتخاذ الدين هزواً, ولعباً: مسلك الكفرة من أهل الكتاب, وغيرهم:

* قال تعالى: { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ **وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا** وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة: 231] .

([1]) " تفسير القرطبي437/1 " .

([2]) " تفسير الطبري108/9 " .

([3]) انظر هذه الآثار: " تفسير الطبري54/16: 55 "

([4]) " تفسير القرطبي86/11 " .

([5]) " تفسير السعدي/346 " .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا } لمّا بين تعالى حدوده غاية التبيين, وكان المقصود: العلم بها, والعمل, والوقوف معها, وعدم مجاوزتها لأنه تعالى لم ينزلها عبثاً بل أنزلها بالحق, والصدق والجد: نهى عن اتخاذها هزواً, أي: لعباً بها, وهو التجرى عليها, وعدم الامتثال لواجبها][1] .

* وقال تعالى: { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا } .

* وقال تعالى: { ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا } .

* وقال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } .

* وقال تعالى: { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } [الأنعام: 70] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [المقصود من العباد: أن يخلصوا لله الدين بأن يعبدوه وحده لا شريك له, ويبذلوا **مقدورهم** في كل مرضاته ومحابه, وذلك متضمن لإقبال القلب على الله وتوجهه إليه, وكون سعي العبد نافعاً, وجدّاً لا هزلاً, وإخلاصاً لوجه الله لا رياء, ولا سمعة هذا هو الدين الحقيقي الذي يقال له: دين, فأما من زعم أنه على الحق, وأنه صاحب دين وتقوى, وقد اتخذ دينه لعباً ولهواً, بأنْ لَها قلبُه عن محبة الله ومعرفته, وأقبل على ما يضره, ولها في باطله, ولعب فيه ببدنه لأن العمل والسعي إذا كان لغير الله, فهو لعب؛ فهذا أمر الله تعالى أن يترك ويحذر, ولا يغتر به, وتنظر حاله, ويحذر من أفعاله, ولا يغتر بتعويقه عمّا يقرب إلى الله][2] .

* وقال تعالى: { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } .

_ــ وقد بين الله تعالى عظم شأن تكاليف هذا الدين, وانها امانة عظيمة تنوء بحملها السموات, والارض, والجبال والتي هي أعظم خلقاً من الإنسان, وما كان هذا شأنه: فلا يفلح إلا من أخذه بحقه بجد, واجتهاد, وعزم صادق .

* قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [الاحزاب: 72] .

ففي هذه الاية: (يعظم تعالى شان الامانة التي ائتمن الله عليها المكلفين والتي هي امتثال الاوامر, واجتناب المحارم)[3] .

---

(1) " تفسير السعدي/55 " .

(2) " تفسير السعدي/166 " .

(3) " تفسير السعدي/490 " .

عن ابن عباس_رضي الله عنه_, قال: " الأمانة: الفرائض؛ عرضها الله عز وجل على السماوات والأرض, والجبال إن أدوها: أثابهم وإن ضيعوها: عذبهم: فكرهوا ذلك وأشفقوا **لا** معصية, **ولكن تعظيماً لدين الله عز وجل ألا يقوموا به** "(1) .

قال القرطبي_رحمه الله_: [والأمانة: تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور](2) .

وقال ابن كثير_رحمه الله_ بعد أن ذكر الأقوال الواردة هنا: [وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها: التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها, وهو أنه إن قام بذلك: أثيب وإن تركها: عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله, وبالله المستعان](3) .

* وقال تعالى: { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ الله وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } .

* وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا }.

ـــ فهذه الأيات السابقة كلها ظاهرة في عظم شأن هذا الكتاب, وعظم ما تضمنه, وأن أمر هذا الدين: عظيم عند الله سبحانه وتعالى كما أنه عظيم في حياة الإنسان المُخاطب به بل هي دالة على كون هذا الدين عظيماً في حركة الكون أجمع .

* وقد قال تعالى_كذلك_: { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً } [المزمل: 5] .

وأمرٌ يصفه الله تعالى الذي أنزله بأنه " ثقيل ":(يجب أن يؤخذ بقوة، وأن تكون له جديته في النفس، وصراحته, وحسمه, ولا ينبغي أن يؤخذ في رخاوة، ولا في تميع، و لا في ترخص، ذلك انه أمر هائل في ذاته، فضلاً على أن تكاليفه باهظة لا يصبر عليها مَن طبيعته: الرخاوة, والتميّع, والترخص أو من يأخذ الأمر بمثل هذه المشاعر)(4) .

ـ ـ وقد وصف الله تعالى أنبياءه ورسله بالجمع بين البصيرة في الدين, والقوة على القيام به:

* قال تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي **الْأَيْدِي** وَالْأَبْصَارِ } [ص: 45] .

قال الشيخ السعدي_رحمه الله_: [{ أُولِي الْأَيْدِي }, اي: القوة على عبادة الله تعالى, { وَالْأَبْصَارِ }, اي: البصيرة في دين الله, فوصفهم بالعلم النافع, والعمل الصالح الكثير](5) .

---

(1) " تفسير القرطبي14/255 " .

(2) " تفسير القرطبي14/253 " .

(3) " تفسير ابن كثير3/523 " .

(4) " الظلال/1370 " .

(5) " تفسير السعدي/522 " .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء: هم الذين قاموا بالدين: علماً وعملاً, ودعوة إلى الله والرسول .

فهؤلاء: أتباع الرسول حقاً وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التى زَكَت: فقبلت الماء: فأنبتت الكلأ, والعشب الكثير: فزكت فى نفسها, وزكّى الناس بها . وهؤلاء: هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله فيهم: { واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار } فالأيدي: القوة في أمر الله، والأبصار: البصائر فى دين الله، فبالبصائر: يدرك الحق ويعرف، وبالقوة: يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه](1) .

* وعن أبي هريرة_ رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك, واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان "(2) .

وقد ترجم له النووي_ رحمه الله_ بقوله: " باب: في الأمر بالقوة, وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله "(3) .

و(المراد بمدح القوة: القوة في ذات الله وشدة العزيمة)(4) لا قوة البدن المجردة عن القيام بأمر الله, وما يحبه ويرضاه .

قال النووي_ رحمه الله_: [والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس, والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف: أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً اليه, وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات, وأنشط طلباً لها, ومحافظة عليها, ونحو ذلك](5) .

ـ وممّا جاء في وصف خير الخلق بعد الأنبياء, والمرسلين: أصحابِ النبي الأمين صلى الله عليه وسلم, ورضي الله عنهم أجمعين: أنهم كانوا "يتبادحون بالبطيخ, **فإذا كانت الحقائق: كانوا هم الرجال** "(6) .

* وجاء في وصفهم_ رضي الله عنهم_ كذلك_: انهم كانوا " إذا اريد احدُهم على شيء من دينه: دارت حماليق عينيه كأنه مجنون "(7) .

---

(1) " الفتاوى4/92: 93 "

(2) " مسلم2052/4 " .

(3) " المرجع السابق " .

(4) " فيض القدير83/1 " .

(5) " شرح مسلم215/16 " .

(6) " الادب المفرد/102 ", " تهذيب الكمال395/5 " .

(7) " الادب المفرد/195 ", " مصنف ابن ابي شيبة278/5, 158/7 ", " الزهد للإمام احمد/215 ", وحسنه الحافظ ابن حجر في

قال ابن حزم_ رحمه الله_ بعد أن ذكر صفة المفتي: [فمن كانت هذه صفته، وكان **وَرِعاً في فتياه، مشفقاً على دينه، صليباً في الحق**: حلت له الفتيا وإلا: **فحرام عليه أن يفتي بين اثنين أو أن يحكم بين اثنين، وحرام على الإمام أن يقلده حكماً أو يتيح له فتيا، وحرام على الناس أن يستفتوه** .

لأنه إن لم يكن عالماً بما ذكرنا: فلم يتفقه في الدين، **وإن لم يكن مشفقاً على دينه: فهو فاسق، وإن لم يكن صليباً: لم يأمر بمعروف ولا نهى عن منكر**، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: فرضان على الناس، قال تعالى: { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر }, وهذا متوجه إلى العلماء بالمعروف وبالمنكر **لأنه لا** يجوز أن يدعو إلى الخير إلا مَنْ علمه، ولا يمكن أن يأمر بالمعروف إلا مَنْ عرفه، ولا يقدر على إنكار المنكر إلا مَن ميّزه .

فان كان مع ما ذكرنا **قوياً** على إنفاذ الأمور، حَسَن السياسة: حَلّ له القضاء والإمارة وإلا: **فلا**, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' المؤمن القوي: أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ", وقال عليه السلام لأبي ذر: " يا أبا ذر, إني أحب لك ما أحب لنفسي إنك ضعيف: فلا تأمّرن على اثنين, ولا تولين مال يتيم", وكان أبو ذر_ رضي الله عنه_ ممن له أن يفتي، ولم يكن ممن له أن يقضي](1) .

وقال_ ابن القيم_ رحمه الله_: [ذكر أبو عبد الله ابن بطة في كتابه في الخلع عن الإمام أحمد أنه قال: **لا** ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال:

أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية: لم يكن عليه نور, ولا على كلامه نور .

والثانية: أن يكون له علم, وحلم, ووقار, وسكينة .

الثالثة: **أن يكون قوياً** على ما **هو** فيه, **وعلى معرفته** .

الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس .

الخامسة: معرفة الناس .

وهذا ممّا يدل على جلالة أحمد ومحله من العلم والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة: هي دعائم الفتوى، وأي نقص منها: **ظهر الخلل في المفتي بحسبه**](2) .

_ _ فأهل الطائفة المنصورة_ سيما ائمتهم_ ابعد الناس عن طبيعة الرخاوة, والتميع, والترخص الباطل الذي يخدع به العبدُ نفسَه في مواجهة واقعه إذ هذه الطبيعة تتنافى بالكلية مع ما أناطه الله تعالى بهذه الطائفة من القيام بأمر الله, والقوامة عليه, فالدين في صدور اهل الطائفة المنصورة اعظم من ان يكون مجرد مفاهيم نظرية او تراكمات معرفية او كمّ معلوماتي يجتهدون في تخزينه واستهلاكه في حديث المجالس مع الغيبة التامة عن اخذ الدين بقوة قياماً في واقعهم_ ابتداءً_ بفرائض الوقت, وواجبات الحال .

"الفتح 540/10 " .

(1) " الإحكام 124/5: 128 " .

(2) " إعلام الموقعين 199/4 " .

ـــ والاهتمام بفرائض الوقت, وواجبات الحال أخذاً للدين بقوة في الواقع: هو منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة، ومنهج من سار بسيرهم, واقتفى أثرهم:

* قال تعالى عن جميع الانبياء والمرسلين: { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل_36] .

فأفرض فرائض الوقت, وأوجب واجبات الحال التي كانت دعوة الأنبياء, والمرسلين تهتم بها, وتركز عليها: هي الدعوة إلى عبادة الله وحدة, واجتناب الطاغوت .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله .

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأمّلت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى طاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته](1) .

* وقال تعالى حكاية عن نبي الله هود عليه السلام في دعوته قومه: { أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون } [الشعراء: 128_ 131] .

فبعد الدعوة إلى الأصل بالأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك: دعاهم نبيهم عليه السلام إلى ترك ما هم عليه من فساد وإفساد ميّز عصرهم وصار علماً عليهم من إهدار الأموال في العبث والضياع عتواً وطغياناً .

* وصالح عليه السلام بعد ان امر قومه بعبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يُعبد من دونه: نهاهم عن الإفساد في الأرض بالصد عن سبيل الله، وإيثار الحياة الدنيا على الاخرة فقال لهم: { فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين } [الأعراف:74] .

* وقال تعالى حكاية عن صالح عليه السلام في دعوته قومه: { أتتركون في ما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون } [الشعراء_146: 152] .

* وشعيب عليه السلام بعد ان امر بعبادة الله وحده, واجتناب الطاغوت: قال داعياً قومه: { فأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس اشياءهم، ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون، وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجاً }[الاعراف_85: 86].

* وقال تعالى: { وإلى مدين اخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني اراكم بخير وإني اخاف عليكم عذاب يوم محيط، ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين } [هود: 84_ 85] .

* وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ

---

(1) " إعلام الموقعين50/1 " .

إبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } .

* وقال تعالى عن نبيه لوط عليه السلام: { ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون، أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون } [النمل: 54_ 55] .

* وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام أنه قال لصاحبيه: ﴿ يا صاحبي السجن ءأربابٌ متفرقون خير أم اللهُ الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطانٍ **إن الحكمُ إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم** ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف: 39_40] .

فـ (ينتهز يوسف هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة؛ فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة, والأوضاع الفاسدة **القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين، وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الربوبية، ويصبحون فراعين**)[1] .

* وقال تعالى في مفتتح قصة موسى عليه السلام مع فرعون, وقومه: { نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } [القصص: 4] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [فأول هذه القصة: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ } في ملكه وسلطانه, وجنوده, وجبروته, فصار من أهل العلو فيها لا من الأعلين فيها, { وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا } أي: طوائف متفرقة يتصرف فيهم بشهوته, وينفذ فيهم ما أراد من قهره, وسطوته, { يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ }, وتلك الطائفة, هم: بنو إسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم ولكنه استضعفهم بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم ممّا أراده فيهم: فصار لا يبالي بهم, ولا يهتم بشأنهم, وبلغت به الحال إلى أنه {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ } خوفاً من أن يكثروا: فيغمروه في بلاده, ويصير لهم الملك, { إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } الذين لا قصد لهم في صلاح الدين, ولا صلاح الدنيا, وهذا من إفساده في الأرض][2] .

* وقال تعالى_ كذلك_: { إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين }

[القصص: 76_77] .

* وقال تعالى في ما انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في مكة: { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى

([1]) " الظلال/1988 " .

([2]) " تفسير السعدي/442: 443 " .

أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } [الأنعام: 118_121] .

* وقال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [الأنعام: 135_140] .

* وقال تعالى آمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } [الأنعام: 162_163] .

* وعن عمرو بن عبسة السلمي_رضي الله عنه_, قال: ' كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة, وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان, فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت ؟ .

قال: أنا نبي .

فقلت: وما نبي ؟ .

قال: أرسلني الله .

فقلت: وبأي شيء أرسلك ؟ .

قال: أرسلني **بصلة الأرحام, وكسر الأوثان, وأن يوحد الله لا يشرك به شيء** "[1].

* وعن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة في قصة بعث قريش في طلب المسلمين المهاجرين إلى الحبشة, قالت: "لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها حين جاء النجاشي ...

قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب, قال له: ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية: نعبد الاصنام, وناكل الميتة, ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار, ويأكل القوي منا الضعيف .

فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه, وامانته, وعفافه, **فدعانا إلى الله: لتوحيده ولنعبده, ونخلع ما كنا نعبد نحن واباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان, وامرنا بصدق الحديث, واداء الامانة, وصلة الرحم, وحسن الجوار, والكف عن المحارم, والدماء, ونهانا عن الفواحش, وقول الزور, واكل مال اليتيم, وقذف المحصنة, وان نعبد الله لا نشرك به شيئاً**, وامرنا بالصلاة والزكاة, والصيام قالت: فعدد عليه امور الإسلام .

---

(1) " مسلم1/569 " .

فصدقناه وآمنا به, واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده ولم نشرك به, وحرمنا ما حرم علينا, وأحللنا ما أحل لنا ... "[1] .

* ومن حديث ابن عباس_رضي الله عنهما_في قصة سؤالات هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه:

" قال: ماذا يأمركم ؟ .

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة, والصدق, والعفاف, والصلة ... "[2] .

والنصوص التي تبين اهتمام الأنبياء والمرسلين بالدعوة إلى فرائض الوقت, وواجبات الحال: فعلاً للمأمور, وتركاً للمحظور بعد الدعوة إلى التوحيد: كثيرة جداً.

ـ وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الطائفة المنصورة بأنها: قائمة بأمر الله, قوامة عليه, ومع ترك الدعوة إلى فرائض الوقت وواجبات الحال_ممّا هو واجب الفعل أو واجب الترك_وإهمالها: لا يتحقق القيام بأمر الله, ولا القوامة عليه .

ولذا, فعند غياب فرائض, وضياع واجبات_ممّا هو واجب الفعل أو واجب الترك_ في واقع ما: فإن قيام الطائفة المنصورة بأمر الله, وقوامتها عليه في هذا الواقع من لازمه: الدعوة إلى هذه الفرائض, والواجبات, وهذا من البداهة بمكان .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكراً: فليغيره: بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطع فبقلبه, وذلك أضعف الإيمان " : تأصيل وترسيخ لهذا الأساس من أسس الدعوة عند الطائفة المنصورة, **فلا** يسع الداعية المضي بغير إنكار بيده أو لسانه أو قلبه_بحسب القدرة والاستطاعة_, وهو يرى منكرات العصر, وافات الوقت تسد الافق, وتحجب الشمس .

* وقد قال صلى الله عليه وسلم: " سَيِّدُ الشّهداءِ: حمزةُ بنُ عبدِ المطلب، **ورجلٌ قامَ إلى إمامٍ جائرٍ: فأمَرَه, ونهاهَ: فقتلَه** "[3] .

فـ(الذين يبصرون بالظلم في كل طريق, ويلتقون بالبغي في كل ثنية: لا يحركون يداً, ولا لساناً، وهم قادرون على تحريك اليد واللسان: أولئك لم يعمر الإسلام قلوبهم، فلو عمرها: لانقلبوا مجاهدين)[4] .

---

(1) سبق تخريجه .

(2) " البخاري 8/1 " .

(3) " المستدرك 215/3 ", " التمهيد 55/13 ", عن جابر_رضي الله عنه_وصححه الحاكم,وله شاهد في " المعجم الاوسط 238/4 "عن ابن عباس_رضي الله عنه_,وانظر: " المجمع 272/7, 268/9 " .

(4) قال الشيخ حمد بن عتيق: [حدثني مَنْ لا اتهم عن شيخ الإسلام إمام الدعوة النجدية انه قال مرة: ارى ناساً يجلسون في المسجد على مصاحفهم يقرؤون ويبكون، فإذا راوا المعروف: لم يامروا به، وإذا راوا المنكر: لم ينهوا عنه، وارى اناساً يعكفون عندهم، يقولون: هؤلاء لحى غوانم، وانا اقول: إنهم لحى فوائن، فقال السامع: انا لا اقدر اقول إنهم لحى فوائن، فقال الشيخ انا اقول: إنهم من العمي,

ـ ـ وقد ميّز هذا الفقه أئمة الطائفة المنصورة عبر تاريخها الممتد, والنماذج هنا: كثيرة تخرج عن الحصر, نكتفي بالقليل الذي ينبيء عمّا وراءه, ويدل على المقصود:

ـ النموذج الأول: أبو بكر يوم الردة .

فبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: ارتدت العرب إلا من رحم الله, فكان قتالهم: هو فريضة الوقت وواجب الحال, وهو ما رآه, وعزم عليه الصديق, ومن ذلك: عزمه ـ رضي الله عنه ـ على قتال مانعي الزكاة, وما زال بالصحابة حتى شرح الله صدورهم للقتال, ورأوا أنه الحق الذي لا يسعهم تركه:

* عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ, قال: " لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وكفر من كفر من العرب فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله .

فقال: والله, لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال, والله: لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقاتلتهم على منعها .

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: فعرفت أنه الحق "(1) .

وقد عُدّ هذا الفعل: من أعظم مناقب الصديق ـ رضي الله عنه ـ, ودليل علمه الراسخ بحقيقة هذا الدين:

* قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: "والذي لا إله إلا هو: لولا أن أبا بكر استُخْلِفَ: ما عُبِدَ الله "(2) .

* وعن أبي حصين, قال: " ما وُلِدَ لآدم في ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر، ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الأنبياء "(3) .

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ: [قال النووي في تهذيبه: استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث الثابت في الصحيحين: " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه " .

واستدل الشيخ ابو إسحاق بهذا وغيره في طبقاته على ان ابا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ اعلم الصحابة, كلهم وقفوا عن فَهْم الحكم في المسألة إلا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب: فرجعوا إليه](4).

البكم]." الدرر السنية8/78" . (فوائن : جمع فاين, وهي تطلق عندهم على المراة البغي والسيئة) .

(1) " البخاري2/507 ", " مسلم1/51 " .

(2) " الاعتقاد للبيهقي/345 ", " تاريخ الخلفاء/73 ", "الرياض النضرة2/47 " .

(3) " تاريخ الخلفاء/60 " .

(4) " تاريخ الخلفاء للسيوطي/41 " .

ـ النموذج الثاني: أحمد يوم المحنة .

لما ظهرت فتنة القول بخلق القرآن, وأريد لها أن تكون دين الأمة, ومعتقدها, وأجاب من أجاب رغبة أو رهبة؛ كان فرض الوقت, وواجب الحال: الوقوف في وجه هذه الفتنة, ودفع عاديتها عن الأمة ودينها, وهذا ما وفق الله إليه إمام الأئمة, وعلم أعلام الأمة: إمام أهل السنة غير مدافع: أحمد بن حنبل:

* قال أبو معمر القطيعي: " لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة, وكان أحمد ابن حنبل قد أحضر, فلما **رأى الناس يجيبون وكان رجلاً ليناً: فانتفخت أوداجه, واحمرت عيناه, وذهب ذلك اللين .**

فقلت: إنه قد غضب لله فقلت: أبْشِر حدثنا ابن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي سلمة قال: كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إذا أريد على شيء من أمر دينه: **رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون** "(1) .

* قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: " جعلوا يذاكرون أبا عبد الله بالرقة في التقية وما روي فيها, فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: " إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار لا يصده ذلك عن دينه ": فأيسنا منه"(2) .

* وعن محمد بن إبراهيم بن مصعب ـ وهو يومئذ صاحب شرطة المعتصم خلافة لأخيه إسحاق بن ابراهيم ـ, قال: " ما رأيت أحداً لم يداخل السلطان, ولا خالط الملوك كان أثبت قلباً من أحمد يومئذ ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب "(3) .

ـ النموذج الثالث: أهل العلم والدولة العبيدية .

قامت الدولة العبيدية في شمال إفريقيا, وظهر من حالها ما أوجب بيان حكم الله فيها, والواجب نحوها, وصار ذلك: فرض الوقت, وواجب الحال, وهو ما قام به أهل العلم يومئذ:

قال الرعينيّ ـ رحمه الله ـ: [أجمع علماء القيروان: أبو محمّد بن أبي زيد، وأبو الحسن القابسيّ، وأبو القاسم بن شبلون، وأبو علي بن خلدون, وأبو محمد الطبيقي وأبو بكر بن عذرة: أنّ حال بني عبيد: حال المرتدّين, والزنادقة، فحال المرتدّين بما أظهروه من خلاف الشريعة فلا يورثون بالإجماع، وحال الزنادقة: بما أخفوه من التعطيل، فيقتلون بالزندقة](4) .

وقال الشيرازي ـ رحمه الله ـ في ترجمة محمد بن القسم بن شعبان القرطي, قال: [وهو اخر من انتهت إليه الرياسة بمصر من المالكيين, ووافق موته دخول بني عبيد إلى مصر, وكان شديداً عليهم كثير الذم لهم,

---

(1) " سير اعلام النبلاء 238/11 " .

(2) " السير 239/11 " .

(3) " السير 240/11 " .

(4) " ترتيب المدارك 292/2 " .

ومات سنة خمس أو ست وخمسين وثلاثمائة](1) .

قال ابن أبي شامة_ رحمه الله_ عن العبيديين: [وقد بين نسبهم هذا, وأوضح محالهم وما كانوا عليه من التمويه وعداوة الإسلام: جماعة ممن سلف من الأئمة والعلماء وكل متورع منهم لا يسميهم إلا بني عبيد الأدعياء, أي: يدعون من النسب ما ليس لهم ...](2) .

وقال_ رحمه الله_: [وصفَ بعضُهم ما كانوا فيه في قصيدة سماها الإيضاح عن دعوة القداح, أولها:

حي على مصر إلى خلع الرسن فثم تعطيل فروض وسنن

وقال: لو وفق ملوكُ الإسلام لصرفوا أعنة الخيل إلى مصر لغزو الباطنية الملاعين فإنهم من شر أعداء دين الإسلام, وقد خرجت من حد المنافقين إلى حد المجاهرين لما ظهر في ممالك الإسلام من كفرها وفسادها, وتعين على الكافة فرض جهادها, وضرر هؤلاء أشد على الإسلام وأهله من ضرر الكفار إذ لم يقم بجهادها أحد إلى هذه الغاية مع العلم بعظيم ضررها وفسادها في الأرض, والله الموفق](3) .

ـ ولا شك أن هناك ضريبة سيدفعها أهل العلم جرّاء موقفهم هذا من هذه الدولة صاحبة القوة, والسلطان, وهو ما كان:

قال أبو شامة_ رحمه الله_ عن المهدي العبيدي: [كان زنديقاً خبيثاً عدوا للإسلام, متظاهراً بالتشيع متستراً به, حريصاً على إزالة الملة الإسلامية, **قتل من الفقهاء, والمحدثين, والصالحين: جماعة كثيرة**, وكان قصده إعدامهم من الوجود ليبقى العالم كالبهائم فيتمكن من إفساد عقائدهم وضلالتهم, والله متم نوره ولو كره الكافرون](4) .

وقال الذهبي_ رحمه الله_ في ترجمة القائم العبيدي: [القائم: صاحب المغرب: أبو القاسم: محمد بن المهدي عبيد الله, مولده بسلمية في سنة ثمان وسبعين ومئتين, **وأباد عدة من العلماء**, وكان يراسل قرامطة البحرين ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف ...](5) .

قال أبو الحسن القابسي صاحب الملخص: [إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه: أربعة الاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة; فاختاروا الموت فقال سهل الشاعر:

وأحلّ دار النحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات](6) .

---

(1) " طبقات الفقهاء/159 " .

(2) " كتاب الروضتين في اخبار الدولتين 216/2 " .

(3) " كتاب الروضتين في اخبار الدولتين 222/2 " .

(4) " المرجع السابق 215/2 " .

(5) " سير اعلام النبلاء 152/15 " .

(6) " سير اعلام النبلاء 145/15 " .

ـ ومن هؤلاء العلماء الذين قام بواجبهم إزاء هذه الدولة مع التعرض للبلاء في ذات الله: فقيه الشام أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي ويعرف بابن النابلسي الشهيد_ رحمه الله_:

جاء في معجم البلدان: [كان يرى قتال المغاربة وبغضهم وأنه واجب][1] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_ عن المعز العبيدي صاحب مصر: [وقد أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقي أبو بكر النابلسي فقال له المعز: بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة, ورميت المصريين بسهم .

فقال: ما قلت هذا, فظن أنه رجع عن قوله, فقال: كيف قلت ؟ .

قال: قلت: ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر .

قال: ولم ؟ .

قال: لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الإلهية, وادعيتم ما ليس لكم .

فأمر بإشهاره في أول يوم ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضرباً شديداً مبرحاً ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث فجيء بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن, قال: اليهودي فأخذتني رقة عليه فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله فكان يقال له الشهيد وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم][2] .

ـ **النموذج الرابع: ابن تيمية والتتار .**

هجم التتار المرتدون عن الإسلام وشرائعه على بلاد الشام في أوائل القرن الثامن الهجري, فكان فرض الوقت, وواجب الحال: جهادهم لتكون كلمة الله هي العليا ثم دفعاً عن البلاد, والعباد, وهو ما انبرى له شيخ الإسلام ابن تيمية_رحمه الله_, فقام يُجيّش الأمة كافة, ويحرضها على الجهاد, ويستنفرها للقتال, ويبصرها بعدوها, وحقيقته مبيناً حكم الله فيهم من الكفر, والردة, والانسلاخ من دين الله الذي يزعمون الانتساب إليه, هذا مع ردّه على أصحاب الشبهات المخذلين, والمثبطين عن الجهاد, فكان هذا شغله الشاغل_ رحمه الله_ بلسانه, وقلمه, ويده إلى أن منّ الله على المسلمين بالنصر, ودحر الكفرة المرتدين, وقد كتب عدة رسائل في هذا الامر جاءت وكأنها بيانات عامة للامة كلها, ومن ذلك ما كتبه_ رحمه الله_ قائلاً:

[بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين: احسن الله إليهم في الدنيا والاخرة، واسبغ عليهم نعمه باطنه وظاهره، ونصرهم نصراً عزيزاً، وفتح عليهم فتحاً كبيراً، وجعل لهم من لدنه سلطاناً نصيراً، وجعلهم معتصمين بحبله المتين، مهتدين إلى صراطه المستقيم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد اهل، وهو على كل شيء قدير، ونساله ان يصلي على

---

(1) " معجم البلدان 249/5 " .

(2) " البداية والنهاية 284/11 ", وانظر: " الروضتين في اخبار الدولتين 220/2 " .

صفوته من خليقته، وخيرته من بريته، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً ...

إلى أن قال:

وما أنزل الله في القرآن من آية إلا وقد عمل بها قوم، وسيعمل بها آخرون فمن كان من الشاكرين الثابتين على الدين الذين يحبهم الله عز وجل ورسوله: فإنه يجاهد المنقلبين على أعقابهم، الذين يخرجون عن الدين، ويأخذون بعضه ويدعون بعضه كحال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين الذين خرجوا على أهل الإسلام، وتكلم بعضهم بالشهادتين، وتسمى بالإسلام من غير التزام شريعته؛ فإن عسكرهم مشتمل على أربع طوائف ...

إلى أن قال:

فهؤلاء الكفار المرتدون، والداخلون فيه من غير التزام لشرائعه، والمرتدون عن شرائعه لا عن سمته: كلهم يجب قتالهم بإجماع المسلمين حتى يلتزموا شرائع الإسلام، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وحتى تكون كلمة الله_ التي هي كتابه وما فيه من أمره ونهيه وخبره_ هي العليا, هذا إذا كانوا قاطنين في أرضهم، فكيف إذا استولوا على أراضي الإسلام: من العراق وخراسان، والجزيرة، والروم ؟!، فكيف إذا قصدوكم, وصالوا عليكم بغياً وعدواناً ؟!, { ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة. أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاء. والله عليم حكيم } ...

إلى أن قال:

واعلموا_ أصلحكم الله_ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه من وجوه كثيرة انه قال: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة " وثبت: أنهم بالشام .

فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق: الطائفة المنصورة، وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين .

والطائفة المخالفة وهم هؤلاء القوم, ومن تحيّز اليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام .

والطائفة المخذلة: وهم القاعدون عن جهادهم وإنْ كانوا صحيحى الإسلام .

فلينظر الرجل ايكون من الطائفة المنصورة ام من الخاذلة ام من المخالفة؛ فما بقى قسم رابع ؟ .

واعلموا ان الجهاد فيه خير الدنيا والاخرة وفى تركه خسارة الدنيا والاخرة, قال الله تعالى فى كتابه: { قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين }, يعنى: إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة؛ فمن عاش من المجاهدين: كان كريماً له ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ومن مات منهم او قتل: فإلى الجنة؛ قال النبى صلى الله عليه وسلم: "يعطى الشهيد ست خصال ...

وقال: ' مثل المجاهد فى سبيل الله مثل الصائم القائم القانت الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام " .

وقال رجل: " اخبرنى بعمل يعدل الجهاد فى سبيل الله, قال: لا تستطيعه, قال: اخبرني به ?, قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد ان تصوم لا تفطر، وتقوم لا تفتر؟ قال: لا, قال: فذلك الذي يعدل الجهاد في سبيل الله ", وهذه الاحاديث في الصحيحين وغيرهما .

وكذلك اتفق العلماء_ فيما أعلم_ على أنه ليس في التطوعات أفضل من الجهاد فهو أفضل من الحج، وأفضل من صوم التطوع، وأفضل من صلاة التطوع .

والمرابطة في سبيل الله: أفضل من المجاورة بمكة, والمدينة, وبيت المقدس، حتى قال أبو هريرة_ رضي الله عنه_: "لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود ", فقد اختار الرباط ليلة على العبادة في أفضل الليالي عند أفضل البقاع .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون بالمدينة دون مكة لمعان منها أنهم كانوا مرابطين بالمدينة, فإن الرباط هو المقام بمكان يخيفه العدو، ويخيف العدو فمن أقام فيه بنية دفع العدو فهو مرابط، والأعمال بالنيات .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل ", رواه أهل السنن وصححوه .

وفي صحيح مسلم عن سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً أجري عليه عمله، وأجري عليه رزقه من الجنة، وأمن الفتّان "؛ يعني: منكر ونكير؛ فهذا في الرباط: فكيف في الجهاد ؟!!! .

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في وجه عبد أبداً "(1) .

وقال: " من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار " فهذا في الغبار الذي يصيب الوجه والرجل، فكيف بما هو أشق منه كالثلج، والبرد، والوحل ؟! .

ولهذا عاب الله عز وجل المنافقين الذين يتعللون بالعوائق كالحر والبرد فقال سبحانه وتعالى: { فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون } .

وهكذا الذين يقولون: لا تنفروا في البرد، فيقال: نار جهنم أشد برداً كما أخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربي أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر والبرد فهو من زمهرير جهنم "(2) .

فالمؤمن يدفع بصبره على الحر والبرد في سبيل الله: حرّ جهنم وبردها، والمنافق يفر من حر الدنيا وبردها حتى يقع في حر جهنم وزمهريرها .

واعلموا_ أصلحكم الله_ ان النصرة للمؤمنين, والعاقبة للمتقين، وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون, وهؤلاء القوم: مقهورون, مقموعون والله سبحانه وتعالى ناصرنا عليهم، ومنتقم لنا منهم، ولا حول ولا قوة

---

(1) " النسائي الصغرى14/6 ", " ابن ماجه927/2 ", " شعب الإيمان27/4 ", " الفردوس156/5 " عن ابي هريرة_ رضي الله عنه_, ورواه " البزار159/7 " عن عبادة بن الصامت_رضي الله عنه_ .

(2) " البخاري199/1, 1190/3 ", " مسلم431/1, 432 " .

إلا بالله العلي العظيم .

فأبشروا بنصر الله تعالى وبحسن عاقبته: { ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين }, وهذا أمر قد تيقناه وتحققناه، والحمد لله رب العالمين .

{ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين } .

واعلموا_ أصلحكم الله_ أن من أعظم النعم على من أراد الله به خيراً: أن أحياه إلى هذا الوقت الذي يجدد الله فيه الدين، ويحيي فيه شعار المسلمين، وأحوال المؤمنين والمجاهدين حتى يكون شبيهاً بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فمن قام في هذا الوقت بذلك: كان من التابعين لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم.

فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على هذه المحنة التي حقيقتها منحة كريمة من الله، وهذه الفتنة التي في باطنها نعمة جسيمة حتى_ والله_ لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر، وعمر, وعثمان، وعلي، وغيرهم حاضرين في هذا الزمان لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين.

ولا يفوت مثل هذا الغزاة إلا من خسرت تجارته، وسفه نفسه، وحرم حظاً عظيماً من الدنيا والاخرة إلا أن يكون ممن عذر الله تعالى كالمريض، والفقير، والأعمى, وغيرهم، وإلا فمن كان له مال وهو عاجز ببدنه: فليغز بماله ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا "، ومن كان قادراً ببدنه وهو فقير فليأخذ من أموال المسلمين ما يتجهز به سواء كان المأخوذ زكاة او صلة او من بيت المال او غير ذلك حتى لو كان الرجل قد حصل بيده مال حرام وقد تعذر رده إلى أصحابه لجهله بهم ونحو ذلك أو كان بيده ودائع أو رهوناً أو عوار قد تعذر معرفة أصحابها: فلينفقها في سبيل الله، فإن ذلك مصرفها .

ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد؛ فإن الله عز وجل يغفر ذنوبه، كما أخبر الله في كتابه بقوله سبحانه وتعالى: { يغفر لكم ذنوبكم }, ومن اراد التخلص من الحرام والتوبة ولا يمكن رده إلى اصحابه: فلينفقه في سبيل الله عن اصحابه، فإن ذلك طريق حسنة إلى خلاصه مع ما يحصل له من اجر الجهاد ...

إلى ان قال:

فالله, الله, عليكم بالجماعة والائتلاف على طاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله؛ يجمع الله قلوبكم، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويحصل لكم خير الدنيا والاخرة اعاننا الله وإياكم على طاعته وعبادته، وصرف عنا وعنكم سبيل معصيته، واتانا وإياكم في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة، ووقانا عذاب النار، وجعلنا وإياكم ممن رضي الله عنه واعد له جنات النعيم إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم](1) .

ـــ وهكذا؛ كان أهل الطائفة المنصورة في كل عصر, ومصر يهتمون بفرائض الوقت, وواجبات الحال: خروجاً من غيبوبة الزمان والمكان بعيش الواقع, ومجابهته للقيام بأمر الله فيه: أداءً للأمانة, وتحملاً للمسئولية, وإيثاراً لله, والدار الآخرة .

قال الإمام ابن القيم_ رحمه الله_: [**أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت, ووظيفته .**

فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد وإنْ آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل, وصيام النهار بل ومن ترك إتمام الفرض كما في حالة الأمن .

والأفضل في وقت حضور الضيف_ مثلاً_: القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة, والأهل .

والأفضل في وقت السحر: الاشتغال بالصلاة, والقرآن والدعاء, والذكر والاستغفار .

والأفضل في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل: الإقبال على تعليمه والاشتغال به .

والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن .

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد, والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه, والمبادرة في اول الوقت, والخروج إلى الجامع وإن بعد: أفضل .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال: الاشتغال بمساعدته, وإغاثة لهفته, وإيثار ذلك على أورادك, وخلواتك ...

فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت, ووظيفته, ومقتضاه .

وهؤلاء: هم أهل التعبد المطلق, والأصناف قبلهم: أهل التعبد المقيد ...

وصاحب التعبد المطلق: ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضُه: تتبع مرضاة الله تعالى اين كانت, فمدار تعبده عليها, فهو لا يزال متنقلاً في منازل العبودية كلما رفعت له منزلة: عمل على السير إليها, واشتغل بها حتى تلوح له منزلة اخرى, فهذا دابه في سيره حتى ينتهي سيره, فإن رايت العلماء: رايته معهم, وإن رايت العباد: رايته معهم, **وإن رأيت المجاهدين: رأيته معهم**, وإن رايت الذاكرين: رايته معهم, وإن رايت: ارباب الجمعية, وعكوف القلب: رايته معهم .

فهذا هو العبد المطلق الذي لم تقيده الرسوم, ولم تقيده القيود, **ولم يكن عمله على مراد نفسه, وما فيه لذاتها, وراحتها من العبادات بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه, ولذاتتها في سواه, فهذا هو المتحقق**

---

(1) " الفتاوي 28/410: 431 " .

ﺑـ" إياك نعبد وإياك نستعين " حقاً, المُتلبس بها صدقاً](1) .

(1) " مدارج السالكين88/1: 90 " .

المطلب السابع

مطابقة العمل للقول

وهذا الأساس من أسس الدعوة عند أهل الطائفة المنصورة: هو دليل صدق الدعوة, ودليل صدق أصحابها, وعلامة يقينهم فيما يدعون الناس إليه بل هو ذاته: دعوة أبلغ من دعوة " القول " إذ قد فطر اللهُ النفوسَ على أن تستجيب للسان الحال أعظم من استجابتها للسان المقال .

ولذا, فكلما اتسعت مسافة الخلف بين " القول " و " العمل ": كلما قلّ تأثير " القول " في المدعوّين, فكان عيّ الفعال كعيّ المقال بل أشد .

ـــ وقد نهى الله تعالى أشدّ نهي, وأصرحه عن مخالفة العمل للقول:

* قال تعالى: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [البقرة: 44] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: [هذا استفهام معناه التوبيخ والمراد في قول أهل التأويل: علماء اليهود قال ابن عباس: كان زفر المدينة يقول الرجل منهم لصهره, ولذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين: اثبت على الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل ـ يريدون محمداً صلى الله عليه وسلم ـ فإن أمره حق فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه .

وعن ابن عباس ـ أيضاً ـ كان الأحبار يأمرون مقلديهم وأتباعهم باتباع التوراة وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن جريج: كان الأحبار يحضون على طاعة الله وكانوا هم يواقعون المعاصي وقالت فرقة: كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون والمعنى: متقارب](1) .

ـ (وهذه الاية, وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل: فهي عامة لكل أحد)(2) .

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: [فالتأويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة إذاً: أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون انفسكم تعصيه, فهلا تأمرونها بما تامرون به الناس من طاعة ربكم: معيّرهم بذلك, ومقبحاً إليهم ما اتوا به](3) .

تتضمنت الاية: (الوعيد على مخالفة القول العمل)(4) .

* وقال تعالى: {يَا ايّهَا الّذِينَ امَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله انْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }

---

(1) " تفسير القرطبي365/1 " .

(2) " تفسير السعدي14/ " .

(3) " تفسير الطبري259/1 " .

(4) " تفسير الجلالين11/ " .

[الصف: 2_3] .

وهذا استفهام على جهة الإنكار, والتوبيخ لمن كانت هذه صفته .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [أي: لم تقولون الخير, وتحثون عليه, وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه, وتنهون عن الشر, وربما نزهتم أنفسكم عنه وأنتم متلوثون, متصفون به .

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل ؟ .

ولهذا, ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه, والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه][1].

* وممّا قيل: " أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم: عظ نفسك, فإن اتعظت: فعظ الناس وإلا: فاستحي مني"[2] .

_ (فمن وافق قوله فعله: فذاك الذي أصاب حظه, ومن خالف قوله فعله: فذاك إنما يُوبخ نفسه)[3] .

* ومن حديث أسامة بن زيد_ رضي الله عنه_, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه, فيجتمع أهل النار عليه, فيقولون: أي فلان ما شأنك ؟!, أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟! .

قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه "[4] .

وقد ترجم النووي_ رحمه الله_ لهذا الحديث بقوله: " باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله, وينهى عن المنكر ويفعله "[5] .

* وعن أنس_ رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رأيت ليلة أسري بي: رجالاً تقرض شفاههم بمقارض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل, فقال: الخطباء من أمتك: يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون "[6] .

وقد ترجم ابن حبان_ رحمه الله_ لهذا الحديث بقوله: ' ذكر وصف الخطباء الذين يتكلون على القول دون العمل حيث راهم صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به "[7] .

---

(1) " تفسير السعدي/630 " .

(2) " فيض القدير 78/1 " .

(3) من كلام ابن مسعود_ رضي الله عنه_, انظر: " الفوائد لابن القيم/147 " .

(4) " البخاري 1191/3 ", " مسلم 2290/4 " .

(5) " شرح مسلم 118/18 " .

(6) " ابن حبان 249/1 ", " الاوسط 144/8 ", " شعب الإيمان 283/2, 249/4: 250", " مصنف ابن ابي شيبة 335/7 ", "احمد 120/3, 180, 231 ", " ابو يعلى 69/7, 72 ", وانظر: " المجمع 276/7 " .

(7) " صحيح ابن حبان 249/1 " .

ـ فكان مَثَلُ من خالف عملُه قولَه:

مُحامل لثياب الناس يغسـ ـلها   وثوبه غارق في الرجس والدَنَس

ــ ولقد كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام يدعون الناس بأفعالهم قبل دعوتهم إياهم بأقوالهم, فكانوا عليهم السلام أول مبادر لما يأمرون به, وأول منته عمّا ينهون عنه .

* قال تعالى عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه: { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [هود: 88] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: [يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه بل لا أفعل إلا ما آمركم به, ولا أنتهي إلا عمّا أنهاكم عنه][1] .

* وتأمّل مليّاً قوله تعالى في قصة نبيه الكريم ابن الكريم يوسف عليه السلام: { وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ **إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** } .

فرؤيتهما له عليه السلام من المحسنين هي التي دعتهما للركون إليه, والثقة في قوله, فكان حاله عليه السلام: أسبقَ, وأسرع, وأشد في التأثير في نفسهما من مقاله بل كان هذا الحال هو الأساس الذي انبنت عليه دعوة المقال بعد ذلك .

* وقد قال تعالى في وصف نبيه, ورسوله صلى الله عليه وسلم: { وإنك لعلى خلق عظيم } .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: " يقول: إنك على دين عظيم, وهو الإسلام " .

وعن مجاهد ـ رحمه الله ـ: " قوله: { خلق عظيم }, قال: الدين " .

وقال الضحاك: " قوله: { لعلى خلق عظيم }: يعني دينه, وأمره الذي كان عليه ممّا أمره الله به ووكله إليه"[2] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: [يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم, وذلك ادب القران الذي ادّبه الله به وهو الإسلام وشرائعه][3] .

* ولمّا سُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: "كان خلقه: القران "[4].

* وفي رواية: " كان خلقه القران: يغضب لغضبه, ويرضى لرضاه "[5] .

---

(1) " تفسير الطبري 103/12 " .

(2) " تفسير الطبري 18/29: 19 "

(3) " تفسير الطبري 18/29 " .

(4) " مسلم 513/1 ", " احمد 91/6, 163, 216 " .

(5) " الاوسط 30/1 ", " الشعب للبيهقي 154/2 " .

قال المناوي_ رحمه الله_: [أي: ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه, ووعده ووعيده إلى غير ذلك وقال القاضي؛ أي: خلقه كان جميع ما حصل في القرآن, فإن كل ما استحسنه, وأثنى عليه ودعا إليه: فقد تحلى به, وكل ما استهجنه, ونهى عنه: تجنبه, وتخلى عنه فكان القرآن: بيان خلقه انتهى .

وقال في الديباج: معناه: العمل به, والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه, وتدبره, وحسن تلاوته](1) .

وقال السندي_ رحمه الله_: [وكون خلقه القرآن: هو أنه كان متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه, ومحاسنه, ويوضحه: أن جميع ما قصّ الله تعالى في كتابه من مكارم الأخلاق ممّا قصّه من نبي أو ولي أو حث عليه أو ندب إليه: كان صلى الله تعالى عليه وسلم متخلقاً به, وكل ما نهى الله تعالى عنه فيه ونزه: كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحوم حوله] (2) .

وقال ابن رجب_ رحمه الله_: [يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه فما مدحه القرآن: كان فيه رضاه, وما ذمه القرآن: كان فيه سخطه](3) .

* وممّا جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم: قول الجُلَنْدَي ملك عمان وكان النبي صلى الله عليه وسلم بَعث إليه عمرو بن العاصي يدعوه إلى الإسلام, فقال: " لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه: لا يأمر بخير: إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شر: إلا كان أول تارك له "(4) .

فكان صلى الله عليه وسلم ترجمة حية للدين الذي يدعو إليه, ترجمة: يراها الناس بأبصارهم, ويحسونها بجوارحهم .

ـــ وهذا المثال الحي, والنموذج القدوة: هو الذي يُحرك النفوس, ويشحذها وإن لم يتكلم, وقد (قيل: مَنْ وعظ بقوله: ضاع كلامه ومن وعظ بفعله: نفذت سهامه وقيل: عمل رجل في ألف رجل: أبلغ من قول ألف رجل في رجل)(5) .

* وتأمّل ما رواه ابن عمر_ رَضِيَ الله عَنْهُمَا_, قَالَ: " اتَّخَذَ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ: **فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ**, فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ: فَنَبَذَهُ, وَقَالَ: إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا: **فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ** "(6) .

فانظر إلى تأثير " الفعل ", وسرعة الاستجابة إليه, وقد استنبط أهل العلم من هذا الحديث: (أن الفعل أبلغ من

---

(1) " فيض القدير5/170 " .

(2) " الحاشية3/200 " .

(3) " جامع العلوم والحكم/148 " .

(4) " الإصابة لابن حجر1/538 " .

(5) " فيض القدير1/78 " .

(6) " البخاري6/2661 ", " مسلم3/1655 " .

القول)[1] .

ومما يدل_ كذلك_ على أن " الفعل " أشد تأثيراً في النفس من " القول " المجرد, وأن النفس تستجيب للفعل أكثر من استجابتها للقول: ما جاء في قصة صلح الحديبية:

* " فلمّا فُرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا, فانحروا ثم احلقوا, قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك: ثلاث مرات, فلمّا لم يقم منهم أحد: دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك: أخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك, وتدعو حالقك: فيحلقك, فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه, ودعا حالقه, فحلقه, فلما رأوا ذلك: قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً "[2] .

وقد انتزع الحجوي_ رحمه الله_ من هذا الحديث أن: البيان بالفعل أقوى من البيان بالقول[3] .

ـ وممّا يفيده الحديثان السابقان: إظهار قيمة الفعل, وأهميته إذ الأفهام قد تتنازع " القول ", وتختلف في بيان دلالته, ولكنها تخضع, وتسلم لمنطق " الفعل " الذي يفرض نفسه .

* عن ميمون بن مهران, قال: " إني لعند عمر بن عبد العزيز اذ فُتح له منطقٌ حسن حتى رق له أصحابه, قال: ففطن لرجل منهم وهو يحذف دمعته, قال: فقطع منطقه .

قال ميمون: فقلت له: امض في منطقك يا أمير المؤمنين, فإني أرجو أن يمنّ الله عز وجل به على من سمعه, وانتهى اليه .

فقال بيده: إليك عني, فإن القول: فتنة والفعال: أولى بالمرء من القول "[4] .

* وقال الإمام مالك_ رحمه الله_: " بلغني أن القاسم بن محمد كان يقول: أدركت الناس وما يُعجبون بالقول, قال مالك: يريد بذلك العمل, إنما يُنظر إلى عمله ولا ينظر إلى قوله "[5] .

(فالواعظ ما لم يكن مع مقاله فعال: لم يُنتفع به إذ عملُه: مدرك بالبصر, وعلمه: مدرك بالبصيرة, وأكثر الناس أهل أبصار لا بصائر فيجب كون عنايته بإظهار ما يدركه جماعتهم أكثر)[6] .

ـ ـ ومن المعلوم أن هذا الحال_ مخالفة العمل للقول_ ممّا يؤدي إلى أعظم ما يكون من الفساد, والفتنة في الدين حيث يختلط عند الناس الحق بالباطل بل ويَهون الدين في اعينهم بصورة شديدة من جرّاء ما يرونه من

---

(1) " فتح الباري 275/13 " .

(2) " البخاري 978/2 ", وانظر: " الفكر السامي للحجوي 154/1 " .

(3) انظر: " الفكر السامي للحجوي 154/1 " .

(4) " شعب الإيمان 253/4 " .

(5) " الموطأ 992/2 " .

(6) " فيض القدير 78/1 " .

مفارقة العمل للقول في واقع حملة الدين, ورجاله المتحدثين باسمه .

* وما أفقه قول وهيب_رحمه الله_: ' ضُرب مثلٌ لعلماء السوء؛ فقيل: إنما مثل عالم السوء كمثل الحجر في الساقية: فلا هو يشرب الماء, ولا هو يُخلي الماء إلى الشجرة فتحيى به "(1) .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [علماء السوء: جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا! قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً: كانوا أول المستجيبين له؛ فهم في الصورة: أدِلّاء وفي الحقيقة: قُطّاع الطرق](2) .

_ _ ولذا, كان إظهار أهل العلم, والدعوة (للمعاصى والبدع التى تمنع الثقة بأقوالهم وتصرف القلوب عن اتباعهم, وتقتضى متابعة الناس لهم فيها: هى من أعظم الظلم, ويستحقون من الذم والعقوبة عليها ما **لا** يستحقه من أظهر الكذب والمعاصى, والبدع من غيرهم لأن إظهار غير العالم وإن كان فيه نوع ضرر: فيس هو مثل العالم فى الضرر الذى يمنع ظهور الحق ويوجب ظهور الباطل فإن إظهار هؤلاء للفجور والبدع **بمنزلة إعراض المقاتلة عن الجهاد**, **ودفع العدو** !!!)(3) .

* قال وهب_ رحمه الله_: " فينبغي للعالم أن يحذر المعايب, ويجتنب المحذورات فإن زلته وناقصته: منظورة يقتدى بها الجاهل "(4) .

_ـــ وإذا تقرر ممّا سبق: أن أبصار المدعوين شاخصة نحو الدعاة: تحصي عليهم كلّ شيء وإن دق إذ لمّا نصبوا أنفسهم لدعوة الناس: نصب الناسُ إليهم وجوههم, وكان لسان حال الداعي: { واجعلنا للمتقين إماماً } .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [أي: قدوة يقتدى بنا في الخير, وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي: متقياً قدوة, وهذا هو قصد الداعي](5) .

ناسب أن يكون الميزان الذي توزن به أعمالُ الدعاة: أكثر شدة, وصرامة من ذلك الذي توزن به أعمال غيرهم .

* وقد قال تعالى في حق أمهات المؤمنين_ رضي الله عنهن_: { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا } [الاحزاب: 30] .

وما ذاك إلا لأنهن قدوات مع ما فيه من صيانة لجنابهن, وجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلمّا كانت مكانتهن رفيعة ناسب ان يجعل الله الذنب الواقع منهن عقوبته مغلظة .

فأفاد ذلك: ان من عظمت منزلته, وشخصت الابصار إليه: ليس كغيره من الخاملين الذين لا يؤبه لهم إذ

---

(1) " حلية الاولياء 146/8 " .

(2) " الفوائد لابن القيم 61/ " .

(3) " الفتاوى لابن تيمية 188/28 " .

(4) " البداية والنهاية 293/9 " .

(5) " تفسير القرطبي 83/13 " .

الأول: محل النظر, والاقتداء دون الثاني .

وقد قيل_ أيضاً_: (لمّا كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مهبط الوحي, وفي منزل أوامر الله ونواهيه: قوي الأمر عليهن, ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر ممّا يلزم غيرهن: فضوعف لهن الأجر, والعذاب)[1] .

ــ وعليه, (فقواعد الشرع: تقتضي أن يُسامح الجاهل بما لا يسامح به العالم وأنه يُغفر له ما لا يغفر للعالم, فإن حجة الله عليه أقوم منها على الجاهل, وعلمه بقبح المعصية وبغض الله لها وعقوبته عليها: أعظم من علم الجاهل, ونعمة الله عليه بما أودعه من العلم: أعظم من نعمته على الجاهل .

وقد دلت الشريعة, وحكم الله على أن من حُبي بالإنعام وخُص بالفضل والإكرام ثم أسام نفسه مع ميل الشهوات, فأرتعها في مراتع الهلكات, وتجرّأ على انتهاك المحرمات, واستخف بالتبعات والسيئات: أنه يُقابل من الانتقام والعتب بما لا يقابل به من ليس في مرتبته)[2] .

ـ فالقاعدة هنا: أنه (كلما كانت الدرجة أعلى: كان العذاب عند المخالفة أعظم)[3] لخصوصية المنزلة, والمحل .

* وقد كان عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_ إذا صعد المنبر, فنهى الناس عن شيء: جمع أهله, فقال:

" إني نهيت الناس عن كذا وكذا، **وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم**، وأقسم بالله لا أجد أحدًا فيكم فعله: إلا أضعفت فيه العقوبة "[4] .

ــ بل إن الداعية قد لا يسعه ما يسع الناس لخصوص منزلته, وخصوص ما نصب نفسَه له, وعلى هذا: جرى الدعاة الهداة .

* قال الإمام الأوزاعي_ رحمه الله_: " كنا نضحك, ونمزح, فلمّ صرنا يقتدى بنا: خشيت أن لا يسعنا التبسم"[5] .

* و" رأى فضيل بن عياض قوماً من أصحاب الحديث يمزحون ويضحكون فناداهم: مهلاً يا ورثة الأنبياء, مهلاً_ ثلاثاً_: إنكم ائمة يقتدى بكم "[6] .

* ولما همّ إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضول ينافي العزيمة: قال له إمام المدينة يحيى بن سعيد

---

(1) " القرطبي 174/14 " .

(2) " مفتاح دار السعادة 179/1 " .

(3) " تفسير القرطبي 301/10 " .

(4) " مصنف ابن ابي شيبة 199/6 ", " الجامع لمعمر 346/11 " .

(5) " تذكرة الحفاظ 182/1 ", " السير 132/7 ", " الحلية 143/6 " .

(6) " حلية الاولياء 100/8 ", " السير 435/8 " .

الأنصاري: " **لا** تفعل, فإنك إمام منظور إليك "(1) .

* وقال المروزي_ رحمه الله_: " سألت أبا عبد الله_ أي: الإمام أحمد_ عن النزول في دور قوم_ وذكرت من تكره ناحيته بعبادان أو بطرسوس_, فقال: لا تنزلها .

فقلت: فمَنْ مَرِضَ وهو فيها, ترى أن يعاد ؟ .

قال: يقال له: أخرج منها أو تحول عنها .

قلت لأبي عبد الله: إن ابن المبارك قال: إنْ كان عالماً: لم أر أن ينزل فيها, فإنْ كان جاهلاً: كان أمره أسهل.

قال أبو عبد الله: العالم يقتدى به, ليس العالم مثل الجاهل "(2) .

* ولله درّ سعيد بن المسيب ثم لله درّه إذ لمّ دُعي (للبيعة للوليد, وسليمان بعد عبد الملك بن مروان, قال: **لا** أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار .

قال: فقيل: أدخل من الباب وأخرج من الباب الآخر .

قال: **والله, لا يقتدى بي أحد من الناس** .

قال: فجلده مائة وألبسه المسوح)(3) .

* وعن الإمام أحمد_ رحمه الله_, قال: " ما رأيت أحداً على حداثة سنه, وقله علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير, قال لي ذات يوم وانا معه خِلوَيْن: يا أبا عبد الله: الله, الله, إنك لست مثلي, **أنت رجلٌ يُقتدى بك, وقد مدّ هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك** فاتق الله واثبت لأمر الله "(4) .

_ وقد ذكر أهل العلم (أنه لا ينبغى لمن يُقتدى به إذا ترخص فى أمر لضرورة أو تشدد فيه لوسوسة أو لاعتقاده فى ذلك مذهباً شذّ به عن الناس: أن يفعله بحضرة العامة الجهلة لئلا يترخصوا برخصته لغير ضرورة أو يعتقدوا أن ما تشدد فيه هو الفرض اللازم)(5) .

فكيف بما هو فوق ذلك من المخالفات الظاهرة المُنادى عليها ؟! .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [فكيف حال من قد غرق في قاذورات الدنيا من علماء زمانك هذا ...

فإن القلوب قد امتلات بحب الدنيا فلا يجد العلم فيها موضعاً, فجالس من شئت منهم لتنظر مبادئ مجالستهم,

---

(1) "تهذيب التهذيب 8/ 463 " .

(2) " الورع للإمام احمد/15 " .

(3) " حلية الاولياء170/2 " .

(4) " تاريخ بغداد323/3 " .

(5) " شرح مسلم140/3: 141 " .

وغاياتها, **ولا تستخفك البدوات**, فإنما الأمور: بعواقبها, وخواتيمها ونتائجها وغاياتها](1) .

* وقد قيل: " إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال: صار العوام أكلة الشبهة, وإذا صار العلماء أكلة الشبهة: صار العوام أكلة الحرام, وإذا صار العلماء أكلة الحرام: صار العوام كفاراً ! "(2) .

فـ(العالم: هو عصاةُ كلِّ أعمى من العوام بها يصول على الحق ليدحضه ويقول: رأيت فلاناً العالم وفلاناً, وفلاناً: يفعلون ويفعلون)(3) .

ـــ ومن ثم, فالظالم لنفسه بمخالفة عمله لقوله: لا يكون إماماً يقتدى به أبداً, وهو ما يدل عليه عموم قوله تعالى: { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** } [البقرة: 124] .

* عن مجاهد ـ رحمه الله ـ في الآية السابقة, قال: " لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به " .

* وعنه ـ أيضاً ـ, قال: " أما من كان منهم صالحاً: فأجعله إماماً يقتدى به, وأما من كان ظالماً: فلا, ولا نعمة عين "(4) .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: [لما جعل الله إبراهيم إماماً, سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته فأجيب إلى ذلك, وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم](5) .

وقال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: [{ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }, أي: لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه وضرها, وحط قدرها لمنافاة الظلم لهذا المقام, فإنه مقام آلته: الصبر واليقين ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة, والأخلاق الجميلة, والشمائل السديدة, والمحبة التامة, والخشية والإنابة فأين الظلم وهذا المقام ؟!](6) .

وإنما لا يكون من خالف عمله قوله: إماماً ـ بالإضافة لما ذكر ـ لأن (النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله فاقتداؤهم بالأفعال: أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة)(7) .

وقد قيل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً   إذ عبتَ منهم أموراً أنت تأتيها

---

(1) " البداية والنهاية9/293 " .

(2) " تنبيه الغافلين للسمرقندي/340 " .

(3) " البداية والنهاية9/293 " .

(4) " تفسير ابن كثير1/168 " .

(5) " تفسير ابن كثير1/168 " .

(6) " تفسير السعدي/25 " .

(7) " تفسير السعدي/14 " .

ـ ومن هذا القبيل: قول الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: "مَنْ أتى السلطان طائعاً حتى انقادت له العامة: **فهذا لا ينبغي أن يكون من أئمة المسلمين** "(1) .

* ونحو هذا: قول الإمام عبد الله بن المبارك في إسماعيل بن علية ـ رحمه الله ـ لما تولى ولاية للصدقة عند الرشيد حيث كتب له يقول:

يا جاعل العلم له بازياً	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما	كنت دواء للمجانين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين
ودرسك العلم بآثاره	في ترك أبواب السلاطين
تقول أكرهت فماذا كذا	زل حمار العلم في الطين
لا تبع الدين بالدنيا كما	يفعل ضلال الرهابين(2)

هذا, وابن علية: ابن علية, والرشيد: الرشيد ! .

وإنما كان هذا التغليظ في حق القدوات لما ذكرنا (إذ مثل المرشد من المسترشد: كمثل العود من الظل, فمتى يستوي الظل والعود أعوج ؟!!!)(3) .

ـ ومن هذا الباب:

* قولُ الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: " العلم: دواء الدين, والمال: داء الدين, فإذا جَرّ العَامِمُ الداءَ إلى نفسه: كيف يُصلح غيرَه ؟!!! "(4) .

* وعن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ, قال: " المال: داء هذه الأمة, والعالِمُ: طبيب هذه الأمة فإذا جَرّ العالِمُ الداء إلى نفسه, فمتى يَبرىء الناس ؟!!! "(5) .

قال الفقيه السمرقندي ـ رحمه الله ـ: [العلماء: هم الذين يُصلحون الخلق, ويدلونهم على طريق الاخرة, فإذا ترك العلماء طريق الاخرة: فمن الذي يدلهم على الطريق ؟!, وبمن يقتدي الجهال ؟!](6) .

---

(1) " مفتاح الجنة/38"، " الكفاية للخطيب/126 " .

(2) " سير اعلام النبلاء9/107 " .

(3) " فيض القدير1/78 " .

(4) " حلية الاولياء8/112 " .

(5) " سير اعلام النبلاء7/243 " .

(6) " تنبيه الغافلين/151 " .

قال الغزالي_ رحمه الله_: [مَنْ خالف أمر الله تعالى: لا يقتدى به كائناً من كان, ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها: فلا عذر لك في موافقته](1) .

_ (فانظر إذا كنت إماماً, أي إمام تكون, **فربما نجت الأمة بالإمام الواحد, وربما هلكت بالإمام الواحد**, وإنما هما إمامان: إمام هدى قال الله عز وجل: { وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا }, يعني على الدنيا, وإنما صاروا أئمة حين صبروا عن الدنيا, **ولا يكون إمام هدى حجة لأهل الباطل**, فإنه قال: { يهدون بأمرنا}, **لا بأمر أنفسهم, ولا بأمور الناس**, فقال: { وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين }, فهذا: إمام هدى فهو ومن أجابه: شريكان .

وإمام آخر قال الله تعالى: { وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار }, ولا تجد أحداً يدعو إلى النار ولكن الدعاة إلى معصية الله فهذان إمامان: هما مثل من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين)(2) .

ـــ ومتى خالف العملُ القولَ: فقد القولُ مصدقيته, وشكّ المدعوون في يقين قائله فيه إذ لو كان القائل على يقين من صحة, وصدق ما يدعو إليه: لكان أول مبادر إليه, مستمسك به, و_ (منزلة الواعظ من الموعوظ كالمداوي من المداوى؛ فكما أن الطبيب إذا قال للناس: لا تأكلوا كذا فإنه سم ثم رأوه يأكله: عُدّ سخرية, وهزءاً؛ كذا الواعظ إذا أمر بما لم يعمله ومن ثم قيل: يا طبيب؛ طبِّب نفسك .

فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما يستحيل انطباع الطين من الطابع بما ليس منتقشاً فيه: فمحال أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس في نفس الواعظ)(3) .

* وما أفقه قول مالك بن دينار_ رحمه الله_: " إن العالم إذا لم يعمل بعلمه: زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا "(4) .

* وقد كتب الجنيد_ رحمه الله_ إلى بعض إخوانه, يقول: ' اعلم_ رضي الله عنك_: أن أقرب ما استدعى به قلوب المريدين, ونبه به قلوب الغافلين وزجرت عنه نفوس المتخلفين: ما صدقته من الاقوال جميع ما اتبع به من الافعال فهل يحسن_ يا أخي_ أن يدعو داع إلى أمر لا يكون عليه شعاره ولا تظهر منه زينته واثاره وألا يكون قائله عاملاً فيه بالتحقيق وبكل فعل بذلك القول يليق .

وأفك من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين, وأمر بالترك وكان من الاخذين, وأمر بالجد في العمل وكان من المقصرين, وحث على الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين **إلا قل قبول المستمعين لقيله, ونفرت قلوبهم من فعله, وكان حجة لمن جعل التاويل سبباً إلى اتباع هواه, ومسهلاً لسبيل من اثر اخرته على دنياه** .

اما سمعت الله تعالى يقول وقد وصف نبيه شعيباً وهو شيخ الانبياء وعظيم من عظماء الرسل والاولياء, وهو يقول: { وما اريد ان اخالفكم إلى ما انهاكم عنه }, وقول الله جل ذكره صلى الله عليه وسلم: { قل ما

(1) " فيض القدير 140/1 " .

(2) " فيض القدير 140/1 " .

(3) " فيض القدير 78/1 " .

(4) " حلية الاولياء 71/10 " .

سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله }, وأمر الله له بالدعاء إليه بقوله عز من قائل: { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } .

فهذه سيرة الأنبياء والرسل, والأولياء والذي يجب_ يا أخي_ على من فضّله الله بالعلم به, والمعرفة له: أن يعمل في استتمام واجبات الأحوال, **وأن يصدق القول منه الفعل**: يحظى بذلك أولاً عند الله ويحظى به من اتبعه آخرا "[1] .

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي_ رحمه الله_: [وهكذا, كان العلماء في ذلك الزمان إنهم كانوا إذا تكلموا بالموعظة: وقع كلامهم موقعاً لأنهم كانوا يعملون بالعلم: فينفع علمهم غيرهم, فأما علماء زماننا: فإنهم لا يعملون بعلمهم: فلا ينفع علمُهم غيرَهم !][2] .

* وقد أجاد, وأفاد أبو الأسود الدؤلي_ رحمه الله_ في أبياته المشهورة:

لا تنه عـن خلق وتأتي مـثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عـن غيـها	فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل إن وعظت ويقتدى	بالقول مـنك وينفع التعليم[3]

_(فحق الواعظ أن يَتّعظ بما يعظ ويُبصر ثم يُبصّر ويهتدي ثم يهدي ولا يكون دفتراً: يفيد ولا يستفيد, ومسناً: يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد القمرَ الضوءَ ولها أفضل ممّا تفيده وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمي أكثر, ويجب أن لا يجرح مقاله بفعله ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن وصفه الله تعالى بقوله: { ومن الناس من يعجبك قوله } الآية)[4] .

_ _ وبعد, فقد كانت هذه الأسس الستة السابقة: هي أسس الدعوة عند الطائفة المنصورة, وبقي معنا هنا: أساسان من أهم الأسس التي تقوم عليها الدعوة عند أهل الطائفة المنصورة, وهما: " البلاغ المبين ", و"الحكمة ", ولأهميتهما, وخصوصيتهما, وللحاجة لبسط القول فيهما: أفردنا لهما المبحثين الاتيين من هذا الفصل, فنقول بحول الله وطوله, وقوته:

---

(1) " حلية الاولياء10/260: 261 " .

(2) " تنبيه الغافلين/153 " .

(3) " تفسير القرطبي1/367 " .

(4) " فيض القدير1/78 " .

المبحث الثالث

الدعوة والبلاغ المبين عند الطائفة المنصورة

البلاغ المبين من أهم أسس الدعوة عند أهل الطائفة المنصورة, وهو من المسلمات عند ورثة الأنبياء والمرسلين الذين خلفوهم في الناس: فقاموا برسالاتهم, وحفظوهم في ميراثهم ووراثتهم, فأضحى هذا الميراث على أيديهم يَحكي واقعاً حياً, قائماً لا ماضياً, غائباً .

والبلاغ المبين: حقيقة " الدعوة ", والمُراد منها, وأصدق أوصافها وألصقها بها بل هو ـ على التحقيق ـ وصف مرادف لـ " الدعوة ": ماهيةً وحقيقةً .

ـ وعليه: فدعوة تفقد البلاغ المبين: ليست بدعوة ولا كرامة, وإن سُمّيت دعوة فبضرب من التجوّز, بمعنى: أنها دعوة لأي شئ إلا أن يكون الحق الذي أنزله الله وارتضاه لخلقه .

* قال تعالى: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } [المائدة: 67] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: [يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة, وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام](1) .

* وقال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا **الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** } .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: [{ فإن توليتم }، يقول: فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به، وتنتهوا عمّا نهيناكم عنه، ورجعتم مدبرين عمّا أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله، واتباع ما جاءكم به نبيكم: فاعلموا أنما { على رسولنا البلاغ المبين }، يقول: فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم إلا إبلاغكم الرسالة التي أرسل بها إليكم: **مبينة لكم بياناً يَوضح لكم سبيل الحق, والطريق الذي أمرتم أن تسلكوه**](2) .

* وقال تعالى: { فإن تولوا فإنما عليك **البلاغ المبين** } .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: [يعني بقوله: { المبين}: **الذي يبين لمن سمعه حتى يفهمه**](3) .

* وقال تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا **الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** } [النور: 54] .

قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: [{ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }، اي: تبليغكم البين الذي لا يبقي

---

(1) " تفسير ابن كثير 78/2 " .

(2) " تفسير الطبري 35/7: 36 " .

(3) " تفسير الطبري 157/14 " .

لأحدٍ شكاً, ولا شبهةً, وقد فعل صلى الله عليه وسلم: بَلّغ البلاغ المبين][1] .

فما وجب على النبي صلى الله عليه وسلم من البلاغ المبين: فهو واجب على كل من قام مقامه في الدعوة إلى الدين الذي أنْزِلَ عليه صلى الله عليه وسلم .

* وقد قال صلى الله عليه وسلم كما جاء من حديث أبي الدرداء_ رضي الله عنه_: " **وأيم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء: ليلها ونهارها: سواء** " .

قال أبو الدرداء_ رضي الله عنه_: "**صدق_ والله_** رسولُ الله صلى الله عليه وسلم, تركنا_ **والله**_ على مثل البيضاء: ليلها ونهارها: سواء "[2] .

وهذا ممّا يتمثله أهل الطائفة المنصورة في دعوتهم الخلق إلى الحق أن تكون دعوتهم كاملة, واضحة كل الوضوح: لا لبس, ولا غموض, فيُترك المدعو على مثل البيضاء: ليلها ونهارها: سواء تأسياً بسيد الدعاة صلوات ربي وسلامه عليه, وقد قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً } [الأحزاب: 21] .

ـ ـ مقومات " البلاغ المبين " عند أهل الطائفة المنصورة .

فـ" البلاغ المبين " عند أهل الطائفة المنصورة له مقومات لا بد من توافرها لتحققه, ونتكلم_ بإذن الله_ عن أهم هذه المقومات في المطالب التالية, فنقول:

---

(1) " تفسير السعدي/411 " .

(2) صحيح: " ابن ماجه4/1 ", " السنة لابن ابي عاصم26/1 " .

المطـلب الأول

عدم الكتمان

وهذا مستفاد من وصف البلاغ المأمور به بأنه "بلاغ **مبين** "كما مرّ معنا في الآيات السابقة إذ كتمان شيء من أمر الدعوة_ عند القدرة_ ممّا يتنافى مع هذا الوصف بل الكتمان ممّا يَرفع " البلاغ " رأساً .

ــ وقد نهى الله تعالى عن كتمان ما أنزله إلى خلقه من الدين أعظم النهي وأوكده بل وتوعد على الكتمان ما لم يتوعده على شيء من الذنوب, والمعاصي .

* قال تعالى: { وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيِّنُنه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون } [آل عمران: 187] .

فبيّن تعالى أن إبلاغ الدين الذي أنزله, وبيانه, وعدم كتمانه: هو الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم بمقتضى ما آتاهم من فضله ثم توعد من نبذ ذلك وراء ظهره شراءً للدنيا بالآخرة .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [قوله تعالى: { وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب }، وهذا متصل بذكر اليهود: فإنهم أُمِروا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره، فكتموا نعته، فالآية توبيخ لهم ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم؛ قال الحسن, وقتادة: هي في كل مَن أوتي عِلم شيء من الكتاب، فمن علم شيئاً: فليُعلِّمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة .

وقال محمد بن كعب: لا يحلّ لعالم أن يسكت على علمه, ولا للجاهل أن يسكت على جهله][(1)] .

وقال ابن كثير_ رحمه الله_: [هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم, وان ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره؛ فإذا أرسله الله تابعوه: فكتموا ذلك وتعوضوا عمّا وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف, والحظ الدنيوي السخيف فبئست الصفقة صفقتهم وبئست البيعة بيعتهم .

وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم: فيصيبهم ما أصابهم, ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بايديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: ' من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار'][(2)] .

* وقال تعالى: { إِنّ الّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاّ النّارَ وَلاَ يُكَلّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النّارِ ذَلِكَ بِأَنّ اللهَ نَزّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ وَإِنّ الّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ }

([1]) " تفسير القرطبي4/ 304 " .

([2]) " تفسير ابن كثير437/1 " .

[البقرة: 174_175] .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [قوله تعالى: { إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب }, يعني: علماء اليهود, كتموا ما أنزل في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته ...

وهذه الآية وإن كانت في الأحبار فإنها تتناول من المسلمين من كتم الحق مختاراً لذلك بسبب دنيا يصيبها, وقد تقدم هذا المعنى][1] .

* وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوب عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[البقرة: 159_160] .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [أخبَرَ الله تعالى أن الذي يكتم ما أنزل الله من البينات والهدى: ملعون واختلفوا في المراد بذلك، فقيل: اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كتم اليهود أمر الرجم .

وقيل: كل من كتم الحق، فهي عامة في كل من كتم علماً من دين الله يُحتاج إلى بَثِّه ...

إلى أن قال:

وبها استدل العلماء على **وجوب تبليغ العلم الحق**، وتبيان العلم على الجملة دون أخذ الأجرة عليه إذ **لا** يستحق الأجرة على ماعليه فِعله كما **لا** يستحق الأجرة على الإسلام][2] .

وقال الطبري_ رحمه الله_: [وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاصّ من الناس: فإنها معنيٌّ بها كل كاتم علماً فرض الله تعالى بيانه للناس، وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من سئل عن علم يعلمه فكتمه: أُلجِمَ يوم القيامة بلجام من نار "][3] .

وقال ابن كثير_ رحمه الله_: [هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده فى كتبه التى أنزلها على رسله ...

ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم؛ فكما أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت فى الماء والطير فى الهواء فهؤلاء بخلاف العلماء فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقد ورد فى الحديث المسند من طرائق يشد بعضها بعضاً عن ابى هريرة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من النار " ...][4] .

_ و_(العبرة في الاية هي ان حكمها عام وإن كان سببها خاصاً، فكل من يكتم ايات الله وهدايته عن الناس: فهو مستحق لهذه اللعنة .

([1]) " تفسير القرطبي 234/2 " .

([2]) " تفسير القرطبى 184/2: 185 " .

(3) " تفسير الطبري 53/2 " .

([4]) " تفسير ابن كثير 201/1 " .

ولما كان هذا الوعيد وأشباهه حجة على الذين لبسوا لباس الدين من المسلمين, وانتحلوا الرئاسة لأنفسهم بعلمه: حاولوا التفصي منه، فقال بعضهم: إن الكتمان لا يتحقق إلا إذا سئل العالم عن حكم الله تعالى فكتمه، وأخذوا من هذا التأويل قاعدة هي أن العلماء لا يجب عليهم نشر ما أنزل الله تعالى ودعوة الناس إليه وبيانه لهم، وإنما يجب على العالم أن يجيب إذا سئل عمّا يعلمه, وزاد بعضهم: إذا لم يكن هناك عالم غيره وإلا كان له أن يحيل على غيره .

وهذه القاعدة مسلمة عند أكثر المنتسبين إلى العلم اليوم وقبل اليوم بقرون، وقد ردها أهل العلم الصحيح, فقالوا: إن القرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان بل أمر ببيان هذا للناس، وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوعد من يترك هذه الفريضة، وذكر لهم العبر فيما حكاه عن الذين قصروا فيها من قبل)(1) .

ـ وأمّا (ما ورد عن تدافع علماء السلف في الفتوى: فإنما هو في الوقائع العملية الاجتهادية، التي تعرض للناس لا في الدعوة إلى مقاصد الدين الثابتة بالنصوص وسياجها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)(2) .

* وقد روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: " إن الناس يقولون: أكثرَ أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدّثت حديثاً، ثم يتلو: { إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ـ إلى قوله ـ: الرحيم } "(3) .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: [قوله: " أكثر أبو هريرة ", أي: من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرّح به المصنف في البيوع ...

قوله: " ولولا آيتان " ..., ومعناه: لولا أن الله ذمّ الكاتمين للعلم: ما حدّث أصلاً، لكن لما كان الكتمان حراماً: وجب الإظهار، فلهذا حصلت الكثرة لكثرة ما عده](4) .

* وروى البخاري ـ كذلك ـ أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ توضأ ثم قال: " ألا أحدثكم حديثاً لولا اية ما حدثتكموه ؟, سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يتوضأ رجلٌ يُحسِنُ وضوءه ويصلي الصلاة إلا غفِرَ له ما بينه وبين الصلاة حتى يصلّيها " .

قال عروة بن الزبير ـ احد رجال السند ـ: " الاية: { إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات } "(5) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: [قوله: "قال عروة: الاية: { إن الذين يكتمون ما انزلنا } يعنى الاية التى

---

(1) " تفسير المنار 51/2 " .

(2) " تفسير المنار 51/2 " .

(3) " البخاري 55/1 " .

(4) " فتح الباري 213/1: 214 " .

(5) " البخاري 71/1 " .

في البقرة إلى قوله: { اللاعنون } كما صرَّح به مسلم .

ومراد عثمان_ رضي الله عنه_ أن هذه الآية تُحرِّض على التبليغ، وهي وإن نزلت في أهل الكتاب لكن العبرة بعموم اللفظ، وقد تقدم نحو ذلك لأبي هريرة في كتاب العلم، وإنما كان عثمان يرى ترك تبليغهم ذلك لولا الآية المذكورة؛ خشية عليهم من الاغترار، والله أعلم](1) .

* وقد قال تعالى_ كذلك_: { قل تعالَوْا أتل ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً } الآيات، [الأنعام: 151_153] .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [هذه الآية: أمرٌ من الله تعالى لنبيِّه عليه السلام بأن **يدعو** جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم الله, وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلّغوا الناس, ويبيِّنوا لهم ما حرّم الله عليهم ممّا حلّ](2) .

* وعن عبد الله بن عمرو_ رضي الله عنهما_ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بلغوا عني ولو آية"(3).

* وعن أبي بكرة_ رضي الله عنه_ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ألا ليبلغ الشاهد الغائب..." الحديث(4) .

قال النووي_ رحمه الله_: [قوله صلى الله عليه وسلم: " وليبلغ الشاهد الغائب ", هذا اللفظ قد جاءت به أحاديث كثيرة وفيه التصريح بوجوب نقل العلم, وإشاعة السنن, والأحكام](5) .

_ فهذه النصوص السابقة كلها ظاهرة في وجوب ابتداء العالم الناس بالبلاغ من غير انتظار سؤال منهم, فهي أوامر مطلقة غير مقيدة بالسؤال, وهو ما فهمه الصحابة_ رضي الله عنهم_ كما سبق .

_ _ ويتأكد هذا الوجوب, ويزداد في النوازل العامة التي تنزل بالأمة من البدع, والمحدثات, والمنكرات, والحوادث العظيمة التي تجتاح القلوب, والعقول بباطلها, وفتنتها, فيجب على كل من لديه علم حينئذ أن يُبيّن حكم الله في هذه النوازل ولا يسعه الكتمان وإلا كان مستحقاً لما سبق من الوعيد .

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ_ رحمه الله_ في سكوت علماء زمانه عن نازلة نزلت بالمسلمين يومئذ: [وأكثرهم يرى السكوت عن كشف اللبس في هذه المسألة التي اغتر بها الجاهلون، وضل بها الأكثرون .

وطريقة الكتاب والسنة وعلماء الأمة: تخالف ما استحله هذا الصنف من السكوت, والإعراض في هذه الفتنة العظيمة، وإعمال ألسنتهم في الاعتراض على من غار لله ولكتابه, ولدينه .

---

(1) " فتح الباري 261/1 " .

(2) " تفسير القرطبي7/ 131 " .

(3) " البخاري 1275/3 " .

(4) " البخاري 37/1, 620/2 ", " مسلم 1305/3: 1306 " .

(5) " شرح مسلم 128/9 " .

فليكن منك ـ يا أخي ـ طريقة شرعية، وسيرة مرضية في ردّ ما ورد من الشبه، وكشف اللبس، والتحذير من فتنة العساكر، والنصح لله, ولكتابه, ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وهذا لا يحصل مع السكوت، وتسليك الحال على أي حال، فاغتنم الفرصة، **وأكثر من القول في ذلك،** واغتنم أيام حياتك، فعسى الله أن يحشرنا وإياك في زمرة عساكر السنة والقرآن، والسابقين الأولين من أهل الصدق والإيمان](1) .

ـــــ وحقيقة الأمر: هي أن كتمان العلم سيما عند النوازل التي تنزل بالأمة: قرينُ تبديل الدين, ومسخه, ومحوه بالكلية, ولذا كان (ترك أهل العلم لتبليغ الدين كترك أهل القتال للجهاد)(2), كلاهما: مؤذنٌ بضياع الدين, والقضاء عليه, فهما في الضرر سواء .

(فالمرصدون للعلم: عليهم للأمة حفظ علم الدين, وتبليغه, فإذا لم يبلغوهم علم الدين أو ضيعوا حفظه: كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين ولهذا قال تعالى: { إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون }, فإن ضرر كتمانهم تعدّى إلى البهائم, وغيرها: فلعنهم اللاعنون حتى البهائم)(3) .

ولذلك كان هذا الوعيد الشديد غير المسبوق على شيء من الذنوب, والمعاصي في حق كاتمي العلم: { يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون }؛ و(كأنما تحولوا إلى ملعنة يَنصب عليها اللعن من كل مصدر، ويتوجّه إليها ـ بعد الله ـ من كل لاعن !)(4) كما أن " العلم ": أمانة الله, وميراث رسله استودعه أهله, واستحفظهم عليه, وجعلهم خلفاء أنبيائه, ورسله في القيام به وعليه؛ فهو عندهم: أمانة, ووديعة مع جعل الله إياهم به شهداء على خلقه؛ وقد تقرر في الفطر, والطباع السوية (أنه ليس أشنع من خيانة المستأمن وليس أبشع من تفريط المستحفظ وليس أخس من تدليس المستشهد)(5) .

---

(1) " الدرر السنية 372/8 " .

(2) " الفتاوى لابن تيمية 188/28 " .

(3) " الفتاوى لابن تيمية 187/28 " .

(4) " في ظلال القران/150 " .

(5) " المرجع السابق/897 " .

المطلب الثاني

الصدع بالحق

وهو فرع عمّا قبله من وجوب التبيين, وحرمة الكتمان, والصدعُ بالحق: رسمُ أهل الطائفة المنصورة في دعوتهم يتلقونه كابراً عن كابر عن أنبياء الله ورسله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين .

قال ابن جرير الطبري_ رحمه الله_ في قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام: { إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين }, قال: [وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه لما تبين له الحق وعرفه: **شهد شهادة الحق, وأظهر خلاف قومه**: **أهل الباطل, وأهل الشرك بالله**, **ولم يأخذه في الله لومة لائم**, **ولم يستوحش من قيل الحق**, **والثبات عليه مع خلاف جميع قومه لقوله**, **وإنكارهم إياه عليه**][1] .

* وقال تعالى: { وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ **حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ** } الآية .

والعلماء: هم ورثة الأنبياء, فحقيق عليهم أن لا يقولوا على الله إلا الحق .

* وقال تعالى: { أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ **أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ** وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الأعراف: 169_170] .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [قوله تعالى: { ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب }, يريد التوراة, **وهذا تشديد في لزوم قول الحق في الشرع والأحكام**, وألا يميل الحكام بالرشا إلى الباطل, قلت: وهذا الذي لزم هؤلاء وأخذ عليهم به الميثاق في قول الحق: **لازم لنا على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم**, **وكتاب ربنا على ما تقدم بيانه في النساء**, **ولا خلاف فيه في جميع الشرائع** والحمد لله][2] .

فبين سبحانه وتعالى أن الصدع بالحق: ميثاق أخذه على أهل العلم, وتأمّل هذا التركيب: { أن " لا " يقولوا على الله " **إلا** " الحق }: نفي, وإثبات مفيد للحصر, والقصر في أعلى صوره, ومراتبه, فليس لأهل العلم أن يقولوا إلا الحق, والحق فقط أياً كانت تبعات القول بالحق عليهم .

* وقد قال تعالى: { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً } .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [يمدح تبارك وتعالى { الذين يبلغون رسالات الله } اي: إلى خلقه, ويؤدونها بأماناتها, { ويخشونه }, اي: يخافونه ولا يخافون احداً سواه, فلا تمنعهم سطوة احد من إبلاغ رسالات الله تعالى, { وكفى بالله حسيباً } اي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً][3] .

([1]) " تفسير الطبري 252/7 " .

([2]) " تفسير القرطبي 312/7 " .

([3]) " تفسير ابن كثير 493/3 " .

ـ فحملةُ الميراث يبلغون رسالات الله كما هي عليه بغير تحريف أو ميل غير هيّابين أو مكترثين بما سيلحقهم من جرّاء ذلك, وهو ما يشير له بوضوح قوله تعالى: { وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا الله }, ودلالة الآية ظاهرة في أن الصدع بالحق له تبعات غير أن دلالة الآية ظاهرة ـ أيضاً ـ في أن هذه التبعات لا تثني أتباع الأنبياء, وورثتهم ـ حقاً ـ عن المضي قدماً في هذا الطريق وهم يرددون: { وكفى بالله حسيباً } .

فهم ـ لله هم ـ قد وحدوا الوجهة { يَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا الله }: فهان في أعينهم كل الخلق مع توطين النفس وحملها على المكاره؛ فشدوهم لمليكهم:

فليتك تــحلو والحيـاة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بين وبينك عـامر وبـــيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فـوق التراب تراب

(فكلّ مَنْ قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر: فلا بد أن يؤذى فما له دواء إلا الصبر في الله, والاستعانة بالله, والرجوع إلى الله)(1) .

ــ وهنا نكتة لطيفة جداً, وهي أن معنى قوله تعالى في وصف الذين يبلغون رسالاته: { وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا الله }: هو تماماً معنى قوله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: 28] .

فهذه الآية كما تدل على أنه لا يخشى الله غير العلماء؛ فإنها تدل ـ كذلك ـ على أن هؤلاء العلماء لا يخشون غيره أياً كان .

* وقد قال تعالى ـ كذلك ـ: { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ الله وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة: 44] .

فنصّ تعالى على أن العلم: أمانته, ووديعته عند أهله { بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ الله وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ }, وأنه ما استودعهم هذه الامانة إلا ليقوموا بحقها بإظهار الحق, والدعوة إليه { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ }, ومن ثم: وجب عليهم ان لا يصدهم عن القيام بهذا الحق رغبة او رهبة { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا } .

ــ وفي قوله تعالى: { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا }: إشارة إلى أمر هام بل إلى ما هو لباب هذا الباب؛ وهو ان الله سبحانه وتعالى قد علم, وقدر (ان الحكم بما انزل الله ستواجهه في كل زمان وفي كل امة معارضةٌ من بعض الناس ولن تتقبله نفوس هذا البعض بالرضى, والقبول, والاستسلام:

ستواجهه معارضة الكبراء, والطغاة واصحاب السلطان الموروث؛ ذلك انه سينزع عنهم رداء الالوهية الذي يدعونه ويَرد الالوهية لله خالصة حين ينزع عنهم حق الحاكمية, والتشريع والحكم بما يشرعونه هم للناس ممّا لم يأذن به الله .

---

(1) " تفسير ابن كثير1/437 " .

وستواجهة معارضة أصحاب المصالح المادية القائمة على الاستغلال والظلم والسحت؛ ذلك أن شريعة الله العادلة لن تبقي على مصالحهم الظالمة .

وستواجهه معارضة ذوي الشهوات, والأهواء والمتاع الفاجر والانحلال؛ ذلك أن دين الله سيأخذهم بالتطهر منها, وسيأخذهم بالعقوبة عليها .

وستواجهه معارضة جهات شتى غير هذه وتيك وتلك ممن لا يرضون أن يسود الخير, والعدل, والصلاح في الأرض .

علم الله سبحانه أن الحكم بما أنزل ستواجهه هذه المقاومة من شتى الجبهات, وأنه لا بد للمستحفظين عليه, والشهداء أن يواجهوا هذه المقاومة, وأن يصمدوا لها، وأن يحتملوا تكاليفها في النفس, والمال؛ فهو يناديهم: {فلا تخشوا الناس واخشون } .

فلا تقف خشيتهم للناس دون تنفيذهم لشريعة الله سواء من الناس: أولئك الطغاة الذين يأبون الاستسلام لشريعة الله، ويرفضون الإقرار من ثم بتفرد الله سبحانه بالألوهية أو أولئك المستغلون الذين تحول شريعة الله بينهم وبين الاستغلال وقد مردوا عليه أو تلك الجموع المضللة أو المنحرفة أو المنحلة التي تستثقل أحكام شريعة الله وتشغب عليها .

لا تقف خشيتهم لهؤلاء جميعاً ولغيرهم من الناس دون المضي في تحكيم شريعة الله في الحياة؛ فالله وحده هو الذي يستحق أن يخشوه, والخشية لا تكون إلا لله .

كذلك علم الله سبحانه أن بعض المستحفظين على كتاب الله المستشهدين قد تراودهم أطماع الحياة الدنيا وهم يجدون أصحاب السلطان، وأصحاب المال، وأصحاب الشهوات لا يريدون حكم الله؛ فيملقون شهوات هؤلاء جميعاً: طمعاً في عرض الحياة الدنيا كما يقع من رجال الدين المحترفين في كل زمان, وفي كل قبيل وكما كان ذلك واقعاً في علماء بني إسرائيل: فناداهم الله: { ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلًا }؛ وذلك لقاء السكوت أو لقاء التحريف أو لقاء الفتاوي المدخولة ! .

وكل ثمن هو في حقيقته قليل ولو كان ملك الحياة الدنيا فكيف وهو لا يزيد على ان يكون رواتب, ووظائف, وألقاباً ومصالح صغيرة يباع بها الدين، وتشترى بها جهنم عن يقين ؟!)[1] .

ـــــ وقد نصّ الله تعالى على أن من علامات محبته الحقيقية: عدم خوف اللوم في ذاته سبحانه وتعالى .

* فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ **وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [المائدة: 54] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } بل يقدمون رضا ربهم, والخوف من لومه على لوم المخلوقين, وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم, فإن ضعيف القلب, ضعيف الهمة: تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين, وتفتر قوته عند عذل العاذلين, وفي قلوبهم تعبد لغير الله بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم

(1) "في ظلال القران/897 " .

رضاهم ولومهم, على أمر الله فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله حتى لا يخاف في الله لومة لائم](1).

* وقد سُئل ذو النون المصري_ رحمه الله_ عن المحبة, فقال: " أن تحب ما أحب الله, وتبغض ما أبغض الله, وتفعل الخير لله, وترفض كل ما يشغل عن الله, **وأن لا تخاف في الله لومة لائم** مع العطف للمؤمنين, والغلظة على الكافرين, واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين "(2) .

فـ(من خاف الملامة في هوى من يحبه: فليس بصادق في المحبة:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي مـتأخر عنكم ولا متقدم

أجـد الملامـة في هـواك لذيـذة حباً لذكرك فليلمني اللوم)(3) .

ــ والصدع بالحق: هو مقتضى القيام بالقسط الذي أمر الله به عباده المؤمنين في شأنهم كله, وللدعاة إلى الله من ذلك: الحظ الأوفر, والنصيب الأعظم, فالأمر بالقيام بالقسط أول ما يتوجّه: يتوجّه لهؤلاء الذين أقاموا أنفسهم مقام الأنبياء, والمرسلين في أعظم شأن وأحسنه, وهو: الدعوة إلى الله .

* قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالله أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [أمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا { قوامين بالقسط }, أي: بالعدل فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ولا تأخذهم في الله لومة لائم, ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين, متساعدين متعاضدين, متناصرين فيه وقوله: { شهداء لله } كما قال: { وأقيموا الشهادة لله }, أي: أدوها ابتغاء وجه الله فحينئذ: تكون صحيحة عادلة حقاً, **خالية من التحريف, والتبديل, والكتمان**, ولهذا قال: {ولو على أنفسكم }, أي: اشهد الحق ولو عاد ضرره عليك وإذا سُئلت عن الأمر: فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه](4) .

* وفي قوله تعالى: { يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته }:

قال ابن عباس: " هي ان يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وابائهم وأمهاتهم "(5) .

---

(1) " تفسير السعدي/147 " .

(2) " شعب الإيمان369/1 ", " الحلية394/9 " .

(3) " جامع العلوم والحكم/362: 363 " .

(4) " تفسير ابن كثير566/1 " .

(5) " تفسير الطبري28/4: 29 ", " القرطبي144/18 " .

ـ ولعظم الصدع بالحق, وأهميته في حفظ الدين من التحريف, والتبديل: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه_ رضي الله عنهم_ عليه .

* ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت_ رضي الله عنه_ قال : "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر, والمنشط والمكره, وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله, **وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم** "[1] .

قال الزرقاني_ رحمه الله_: [واللومة: المرة من اللوم, قال الزمخشري: وفيها, وفي التنكير: مبالغتان, كأنه قال: لا نخاف شيئاً قط من لوم أحد من اللوم][2] .

قلت: وفي قوله: " لا نخاف في الله لومة لائم ": إشارة إلى أن قول الحق المأمور به: هو ما كان_ أساساً_ **مع** الخوف, وعظم المخالف, وقدرته, وقلة الناصر, والمعين كما أن فيه إشارة_ كذلك_ إلى أنّ لقول الحق غرماً, وتبعات تلازمه ولا تمنع منه وإلا لم يكن لعدم خوف اللوم محل !, وهو ما سبق بيانه .

* وعن المقدام بن معدي كرب أنه جلس مع عبادة بن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن معاوية_ رضي الله عنهم_ فتذاكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال أبو الدرداء لعبادة:

" يا عبادة كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس, فقال عبادة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم في غزوة إلى بعير من المغنم, فلما سلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول وبرة بين أنملتيه, فقال: إن هذه من غنائمكم وإنه ليس فيها إلا نصيبي معكم الخمس مردود عليكم: فأدوا الخيط, والمخيط, وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغلوا فإن الغلول: عار ونار على أصحابه في الدنيا والآخرة, **وجاهدوا الناس في الله: القريب, والبعيد, ولا تبالوا في الله لومة لائم**, وأقيموا حدود الله في السفر, والحضر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله به من الهم والغم "[3] .

* وعن أبي ذر_ رضي الله عنه_ قال: " أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع: أمرني بحب المساكين, والدنو منهم وأمرني أن انظر إلى من هو دوني, ولا انظر إلى من هو فوقي وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً, **وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً, وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم** وأمرني أن أكثر من قول: **لا** حول ولا قوة إلا بالله فإنهن من كنز تحت العرش "[4] .

---

(1) " البخاري6/2633 ", " مسلم3/1470 ", واللفظ له .

(2) " شرح الزرقاني3/12 " .

(3) له طرق عن عبادة: " احمد5/316, 326 ", " الكبرى للبيهقي 9/20, 103 ", وقال الحافظ ابن كثير" التفسير2/312 ": " هذا حديث حسن عظيم ولم اره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه " .

وانظر: " علل ابن ابي حاتم1/453 ", " مصباح الزجاجة3/103 ", " الترغيب والترهيب للمنذري3/172 ", " المستدرك2/84 ", "المختارة8/273, 280, 281", " ابن ماجه2/849 " .

(4) " ابن حبان2/194 ", " احمد5/159, 173 ", " الزهد لاحمد/77 ", " مصنف ابن ابي شيبة7/81 ", " المعجم الكبير2/156", " الاوسط7/ 364: 365 ", " الصغير2/48 ", " البزار9/383 ", " الكبرى للبيهقي10/91 ", " الشعب للبيهقي3/240, 6/94 ", وانظر: "علل

* وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ_ رضي الله عنه_, قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: " أَلا لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ "(1) .

* وفي رواية: " ألا لا يمنعن رجلاً رهبة الناس إن علم حقاً: أن يقوم به "(2) .

* وفي أخرى: " لا يمنعن رجلاً منكم مخافة الناس: أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه "(3) .

* وعن أبي سعيد الخدري_ رضي الله عنه_ أيضاً_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال: فلا يقول فيه فيقال له يوم القيامة: ما منعك أن تكون قلت كذا, وكذا؟, فيقول: مخافة الناس فيقول: إياي أحق أن تخاف "(4) .

ـــ والصدع بالحق, والجهر به: دعوةً, وعلماً, وتعليماً عند أهل الطائفة المنصورة مثله مثل سائر التكاليف الشرعية يقوم على القدرة بعد العلم, ولذلك قال الإمام أحمد_ رحمه الله_ في حديث أبي سعيد السابق: " وهذا فيمن يتركه خشية ملامة الناس وهو قادر على القيام به "(5) .

قال الإمام الذهبي_ رحمه الله_: [الصدع بالحق: عظيم يحتاج إلى: قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة: يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص: يخذل، فمن قام بهما كاملاً: فهو صدّيق، ومن ضَعُفَ: فلا أقل من التألم, والإنكار بالقلب، وليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله](6) .

ـ إلا أن المقام: من أعظم مقامات الصدق مع الله سبحانه وتعالى المطلع على ما في الصدور, فمن خادع الله تعللاً بما يعلم الله خلافه_ ركوناً إلى الدنيا, وإيثاراً للعافية_: خدعه الله, وكان له نصيب من قوله تعالى: {يخادعون الله وهو خادعهم }, وقوله: { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون } .

فالصدع بالحق: هو الأصل في دعوة أهل الطائفة المنصورة, وما دون ذلك: استثناء لضرورة ملجئة أو مصلحة شرعية, والاستثناء: يقدر بقدره, ولا يتوسع فيه مع بقاء الأصل كما هو: أصلاً راسخاً, وحكماً كلياً عاماً يَحكم مسيرة الدعوة ويُوجهها, أما الاستثناء: فهو أمر طارئ, مؤقت يزول بزوال علته مع كونه خاصاً بواقعة معينة لا حكماً عاماً .

أمّا أن ينقلب الأصل إلى استثناء, والاستثناء إلى أصل: فهذا أعظم ما يخافه ويحذره أهلُ الطائفة المنصورة

الدارقطني 260/6", " المجمع 265/7, 154/8, 263/10 ", " الترغيب والترهيب للمنذري 328/1: 329, 163/3 ", " كشف الخفاء 130/2".

(1) صحيح: " مسند احمد 50/3 ", " صحيح ابن حبان 511/1 " .

(2) " المسند 87/3 " .

(3) " المسند 44/3, 46 ", " مسند ابي يعلى 429/2 ", " الكبرى للبيهقي 90/10 ", " الطيالسي/286 " .

(4) " احمد 30/3, 47, 73, 91 ", " المعجم الاوسط 137/5, 240 ", " الطيالسي/239 ", "شعب الإيمان للبيهقي 90/6 " .

(5) " شعب الإيمان للبيهقي 90/6 " .

(6) " السير 234/11 " .

على دينهم إذ هو مؤذن بطمس معالم الدين, وتحريفها بالكلية, ولذا: شدّد الشرع تشديداً عظيماً كما سبق معنا في وجوب الصدع بالحق, والجهر به على كل من علمه, وأن لا تأخذه في الله لومة لائم, ولا يخشى مع الله غيره .

* وقد كان خالد بن معدان_ رحمه الله_ يقول: ' من التمس المحامد في مخالفة الحق: ردّ الله تلك المحامد عليه ذماً ومن اجترأ على الملاوم في موافقة الحق: ردّ الله تلك الملاوم عليه حمداً "(1) .

ـــ كما أن العلماء, والأئمة الكبار الذين يأخذ الناسُ عنهم دينهم ثقةً بهم, واتباعاً لهم: لا يسعهم هنا الأخذ بالرخصة, وإنما واجبهم: الأخذ بالعزيمة, والصبر على ما قد ينزل بهم, والتجلد للبلاء, وهذا قدرُهم, ولا يسعهم غير هذا ! .

* لمّا دعي سعيد بن المسيب_ رحمه الله_ (للبيعة للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان, قال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار .

قال: فقيل: أدخل من الباب وأخرج من الباب الآخر .

قال: **والله, لا يقتدى بي أحدٌ من الناس** .

قال: فجلده مائة وألبسه المسوح)(2) .

* قال أبو جعفر الأنبارى_ رحمه الله_: " لما حُمل أحمد يُراد به المأمون: اجتزت فعبرت الفرات إليه فإذا هو فى الخان فسلمت عليه فقال يا أبا جعفر: تعنيت !, فقلت: ليس هذا عناء, قال: فقلت له: يا هذا, **أنت اليوم رأس, والناس يقتدون بك, فوالله, إن أجبتَ إلى خلق القرآن: ليجيبن بإجابتك خلقٌ من خلق الله, وإن أنت لم تجب: ليمتنعن خلق من الناس كثير**, ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت, ولا بد من الموت: فاتق الله ولا تجبهم إلى شئ .

فجعل أحمد يبكى وهو يقول: ما شاء الله ما شاء الله ثم قال لى أحمد: يا أبا جعفر, أعد علىّ ما قلتَ, قال: فأعدت عليه, قال: فجعل أحمد يقول: ما شاء الله ما شاء الله "(3) .

* وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: ' جعلوا يذاكرون ابا عبد الله بالرقة في التقية, وما روي فيها, فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: " إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار لا يصدّه ذلك عن دينه ": فأيسنا منه "(4) .

* وتأمّل ما رواه ابو سعيد الواسطي_ رحمه الله_ عن الإمام احمد في المحنة, قال: " دخلت على احمد الحبس قبل الضرب فقلت له في بعض كلامي: يا ابا عبد الله عليك عيال, ولك صبيان وانت معذور كأني

---

(1) " الحلية5/214 ", " السير4/540 ", " تهذيب الكمال8/172 " .

(2) " حلية الاولياء2/170 " .

(3) " سير اعلام النبلاء11/239 ", " طبقات الشافعية الكبرى35/2: 36 " .

(4) " السير11/239 " .

أسهل عليه الإجابة .

فقال لي أحمد بن حنبل: **إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد**: **فقد استرحت !** "[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_رحمه الله_: [ومتى ترك العالِم ما علمه من كتاب الله, وسنة رسوله, واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله, ورسوله: كان مرتداً, كافراً يستحق العقوبة في الدنيا, والآخرة, قال تعالى:

{ المص كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون } .

ولو ضُرب, وحُبس, وأوذى بأنواع الأذى ليدع ما علمه من شرع الله ورسوله الذى يجب اتباعه, واتبع حكم غيره: كان مستحقاً لعذاب الله بل عليه أن يصبر وإن أوذى فى الله, فهذه سنة الله فى الأنبياء, وأتباعهم, قال الله تعالى: { الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }, وقال تعالى: { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم }, وقال تعالى: { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب } .

وهذا إذا كان الحاكم قد حكم فى مسألة اجتهادية قد تنازع فيها الصحابة, والتابعون فحكم الحاكم بقول بعضهم, وعند بعضهم سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تخالف ما حكم به: فعلى هذا أن يتبع ما علم من سنة رسول الله, ويأمر بذلك ويفتى به ويدعو إليه ولا يقلد الحاكم, **هذا كله باتفاق المسلمين**][2] .

ولا ينتهي العجب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية_رحمه الله_: [وهذا إذا كان الحاكم قد حكم فى مسألة اجتهادية قد تنازع فيها الصحابة والتابعون ...] إلخ .

فإذا كان هذا هو حُكْمُ العالِم الذي يتبع الحاكم على قوله في مسألة اجتهادية, ويترك ما يعلمه فيها من سنة ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكيف بمَنْ يتبع الحاكم في تحليله للحرام المجمع عليه, وتحريمه للحلال المجمع عليه, وتبديل الشرع المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ؟!!! .

وقد قال الشيخ العلامة أحمد شاكر_رحمه الله_وهو يتكلم عن شروط " التقية " : [على ألا يكون ممن يُقتدى به، فيخشى أن يخفى الحق على الجاهلين، وأن يضعف إيمانهم، ويحجموا عن نصر حقهم احتجاجاً بمن أجاب عند الإكراه تقية، وهم غافلون .

وهذا هو الذي اضعف المسلمين في القرون الاخيرة انْ احجم علماؤهم وزعماؤهم وقادتهم عن الضرب على ايدي الظالمين، وعن كلمة الحق في مواطن الصدق: فتهافت الناس، وضعفت قلوبهم، ومُلئوا رعباً من عدوّهم: فكانوا لا غناء لهم وكانوا غثاءً كغثاء السيل][3] .

---

(1) "طبقات الحنابلة 43/1 " .

(2) " الفتاوى 372/35: 374 " .

(3) "دائرة المعارف الإسلامية 424/5 " .

وقال ـ رحمه الله ـ كذلك ـ تعليناً على موقف الإمام أحمد ورفضه الأخذ بالرخصة دفعاً للتلبيس, ومنعاً للتضليل: [أمّا أولو العزم من الأئمة الهداة، فإنهم يأخذون بالعزيمة، ويحتملون الأذى ويثبتون، وفي سبيل الله ما يلقون، ولو أنهم أخذوا بالتّقية، واستساغوا الرخصة: لضلّ **الناس من ورائهم**: **يقتدون بهم، ولا يعلمون أن هذه تقية** .

وقد أُتِي المسلمون من ضعف علمائهم في مواقف الحق، لا يصدعون بما يؤمرون، يجاملون في دينهم, وفي الحق، لا يجاملون الملوك والحكام فقط بل يجاملون كل من طلبوا منه نفعاً أو خافوا ضرّاً في الحقير, والجليل من أمر الدنيا ـ وكل أمر الدنيا حقير ـ فكان من ضعف المسلمين بضعف علمائهم: ما نرى][1] .

ـــ وفي جميع الأحوال: فإنه لا يسع العلماء: قول الباطل, والدعوة إليه, والدفاع عنه, ومناصرته بحجة التقيّة, والأخذ بالرخصة؛ فمَنْ تحقق عجزَه عن قول الحق, والقيام به: فعليه السكوت لا أن ينطق بالباطل, ويلج فيه, ويكون من جنده, وأنصاره ! .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: [والتقاة: ليست بأن أكذب, وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق، ولكن أفعلُ ما أقدِرُ عليه ...

فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار: لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه: بلسانه، وإلا: فبقلبه **مع أنه لا يكذب, ويقول بلسانه ما ليس في** قلبه؛ إما أن يظهر دينه، وإما أن يكتمه، وهو مع هذا **لا** يوافقهم على دينهم كله بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون، وامرأة فرعون، وهو لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل كان يكتم إيمانه، **وكتمان الدين**: **شيء، وإظهار الدين الباطل**: **شيء اخر**، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر][2] .

وكلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عام في حق أهل الإيمان جميعاً, وهو لأهل العلم, والقدوات: ألزم بلا شك! .

ـ ـ وقد قال صلى الله عليه وسلم كما جاء من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: " إن من أعظم الجهاد: كلمة حق عند سلطان جائر "(3) .

قال المناوي ـ رحمه الله ـ: ["كلمة حق ", أي: موافق للواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب في الوقت الذي يجب والحق يقال لأوجه: هذا انسبها هنا](4) .

---

(1) " المسند1/82: 83 " .

(2) " منهاج السنة3/260 " .

(3) **صحيح**: " الترمذي4/471, " المستدرك4/551 ", " ابن ماجه2/1329 ", " احمد3/19 ", ورواه من حديث ابي امامة: " ابن ماجه2/1330 ", " احمد5/251", " البيهقي الكبرى10/91 ", الطبراني " الاوسط2/166, 7/52 ", " الصغير1/107 ", " الكبير8/281, 282 ", وهو مروي من حديث طارق بن شهاب: " المختارة8/110, 116 ", " الكبرى للنسائي4/314, 315 ", " احمد4/314 ", وانظر: " مصباح الزجاجة4/184 ", " الترغيب والترهيب3/158 ", "كشف الخفاء1/173: 174 " .

(4) " فيض القدير1/171 " .

و(إنما صار ذلك أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين رجاء وخوف: لا يدري هل يَغلب أو يُغلب وصاحب السلطان: مقهور في يده, فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف: فقد تعرض للتلف, وأهدف نفسَه للهلاك: فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل الخوف)(1) .

* وعن أبي هريرة_رضي الله عنه_, قال صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم يعلمه, فكتمه: ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار "(2) .

وقد ترجم له ابن حبان_رحمه الله_ بقوله: "ذكر إيجاب العقوبة في القيامة على الكاتم العلم الذي يحتاج إليه في أمور المسلمين "(3) .

وهنا: الجزاء من جنس العمل (فإذا ألجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم, والإظهار به: يُعاقب في الآخرة بلجام من نار)(4) .

قال المناوي_ رحمه الله_: [وهذا وعيد شديد سيما **إن كان الكتم لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة, وتطييب نفوسهم, واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة أو حطام دنيا أو لتقية ممّا لا دليل عليه ولا أمارة** أو لبخل بالعلم](5) .

* وعن ابن عباس_رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أسخط الله في رضى الناس: سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه ومن أرضى الله في سخط الناس: رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه ويزين قوله, وعمله في عينه "(6) .

* وعن معقل بن يسار_ رضي الله عنه_, قال صلى الله عليه وسلم: " ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحطها بنصحه: لم يجد رائحة الجنة "(7) .

---

(1) " عون المعبود11/335 ", "تحفة الأحوذي6/330 " .

(2) صحيح: " ابن حبان1/297 ", " المستدرك1/182 ", " أحمد ", " أبو داود3/321 ", " الترمذي5/29 ", " ابن ماجه1/98 ", "مصنف ابن أبي شيبة5/316 ", " الأوسط7/293 ", وهو مروي عن عبد الله بن عمرو كما عند " ابن حبان1/298 ", " الحاكم1/182 ", " المدخل للبيهقي/347 ", ورواه " ابن ماجه1/97 " عن انس, وابي سعيد, ورواه الطبراني في " الكبير10/128 " عن ابن مسعود, وهو مروي عن غير من ذكر, وانظر: " الترغيب والترهيب1/70: 71 ", " المجمع1/163 ", "كشف الخفاء2/334 " .

(3) " صحيح ابن حبان1/297 " .

(4) " عون المعبود10/66 " .

(5) " فيض القدير3/145 " .

(6) " المعجم الكبير11/268 ", وسنده: جيد, قوي .

والحديث مروي عن عائشة كما في " صحيح ابن حبان1/510, 511 ", " الترمذي4/609 ", ورجح ابو حاتم, وابو زرعة وقفه عليها كما في " علل ابن ابي حاتم2/103 ", وانظر: " المجمع10/224: 225 ", " الترغيب والترهيب للمنذري3/139 ", " كشف الخفاء2/307 " .

(7) " البخاري6/2614 " .

* وعن أبي هريرة_ رضي الله عنه_, قال صلى الله عليه وسلم: " من أشار على أخيه بأمر يعلمُ أن الرُّشْدَ في غيره: فقد خانه "[1] .

ـ ولا شك أن الدعاة إلى الله الذين شَخص الناس إليهم بأبصارهم ليأخذوا عنهم دينهم, وليهدوهم سواء السبيل وثوقاً بهم وبما يقولون: لهم من هذين الحديثين السابقين أوفر حظ, وأكبر نصيب, فيا لها من أمانة, وما أعظمها من تبعة: لا يُفرّط فيها دفعاً للوم لائم أو خوفاً ممن لا يملك لنفسه نفعاً, ولا ضراً أو رغبة في نوال وإن كان الدنيا بأسرها, والموفق من وفقه الله, وثبته للقيام له بما يحبه, ويرضاه .

ورحم الله ابن حزم إذ يقول:

قالوا تحفظ فإن النـــاس قـد كثـرت	أقوالهـم وأقاويل الــورى محن
فقلـــت هل عيبــهم لي غير أنـــي لا	أدين بالدجل إذ في دجلـــهم فتن
وأنني مولـــع بالحـــق لســت إلـى	سواه أنح ولا في نصــره أهــن
دعهم يعضوا على صم الحصى كمداً	من مات من غيظه منهم له كفن

ــ وقد درج أئمة الطائفة المنصورة على اختلاف أعصارهم, وأمصارهم على خوض الغمرات في الحق: لا تأخذهم في الله لومة لائم خشيةً لله وحده وإن عظم الخطب والبلاء, وإن عُدم الناصر, وقلّ المعين, ولهم في ذلك مواقف مشهودة, مشهورة, معلومة, هي دررٌ لامعة في جبين هذه الأمة شاهدة على عظمة هذا الدين, وعظمة هؤلاء الرجال الذين أخذوه بحقه: فهانت عليهم نفوسُهم نصرةً له, ودفاعاً عنه كما أنها شاهدة في الوقت نفسه على تخاذل المتخاذلين, والأدعياء .

* وقد كان الصديق_ رضي الله عنه_ يقول في خطبته: " لا خير في قول لا يُراد به وجه الله, ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله, ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه, **ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم** "[2] .

* وكتب عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_ إلى أبي عبيدة_ رضي الله عنه_: " سلام عليك, أما بعد: فإنه لم يُقم أمر الله في الناس إلا حصيف العقل, بعيد القوة, لا يطلع الناس منه على عورة, ولا يحس في الحق على حره, ولا يخاف في الله لومة لائم, والسلام عليك "[3] .

* وعن يونس, قال: كان الحسن ربما ذكر عمر, فقال: " والله, ما كان بأولهم إسلاماً, ولا افضلهم نفقة في سبيل الله, ولكنه غلب الناس بالزهد في الدنيا, والصرمة في أمر الله, ولا يخاف في الله لومة لائم "[4] .

---

(1) " ابو داود3/321 ", " احمد2/321, 365 ", " البيهقي الكبرى10/112, 116 " .

(2) " المعجم الكبير1/60 ", " حلية الاولياء1/36 ",وقال الحافظ ابن كثير: [هذا إسناد جيد, ورجاله كلهم ثقاة,وشيخ جرير بن عثمان هو نعيم بن نمحة لا اعرفه بنفي ولا إثبات إلا ان ابا داود السجستاني قد حكم بان شيوخ جرير كلهم ثقات, وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه اخر, والله اعلم] . "تفسير ابن كثير4/343 "

(3) " مصنف ابن ابي شيبة7/11 ", وانظر: " الحلية6/139 " .

(4) " مصنف ابن ابي شيبة6/358, 7/95 ", "تاريخ الطبري3/158 " .

* وجاء في وصية علي بن أبي طالب_ رضي الله عنه_ قوله: " لا تخافُن في الله لومة لائم: يكفكم من أرادكم, وبغى عليكم "[1] .

* وقد روى الدارمي في سننه من طريق الإمام الأوزاعي حدثني أبو كثير, حدثني أبي, قال: " أتيتُ أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس إليه يستفتونه؛ فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تُنه عن الفتيا ؟! .

فرفع رأسه إليه, فقال: أرقيب أنت عليّ, لو وضعتم الصمصامة[2] على هذه_ وأشار إلى قفاه_ ثم ظننت أني أُنفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها "[3] .

قال الحافظ ابن حجر_ رحمه الله_: [وكان سبب ذلك أنه كان بالشام فاختلف مع معاوية فى تأويل قوله تعالى: { والذين يكنزون الذهب والفضة }, فقال معاوية: نزلت فى أهل الكتاب خاصة، وقال أبو ذر: نزلت فيهم وفينا, فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل إلى أبى ذر، فحصلت منازعة أدت إلى انتقال أبى ذر عن المدينة فسكن الربذة_ بفتح الراء الموحدة والذال المعجمة_ إلى أن مات، رواه النسائى .

وفيه: دليل على أن أبا ذر كان لا يرى بطاعة الإمام إذا نهاه عن الفتيا، لأنه كان يرى أن ذلك واجب عليه لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه كما تقدم، ولعله_ أيضاً_ سمع الوعيد فى حق من كتم علماً يعلمه...

إلى أن قال:

وفيه الحثّ على تعليم العلم واحتمال المشقة فيه والصبر على الأذى طلباً للثواب][4] .

* وجاء في ترجمة سعد بن إبراهيم الزهري الفقيه وقد دخل عليه ناس من القراء يعودونه في مرض موته, وفيهم ابن هرمز, وصالح مولى التوءمة, فاغرورقت عين ابن هرمز, فقال له سعد: ما يبكيك ؟! .

قال: والله, لكأني بقائلة غداً تقول: واسعداه .

قال: لئن قالت ذلك؛ **ما أخذتني في الله لومة لائم منذ أربعين سنة** "[5] .

* وذكر الذهبي عن الإمام العلم سفيان الثوري_ رحمه الله_ أنه كان: [راساً في الزهد والتأله والخوف راساً في **الحفظ** راساً في معرفة الاثار, راساً في الفقه, **لا يخاف في الله لومة لائم** من ائمة الدين][6] .

---

(1) " المعجم الكبير 102/1 " .

(2) السيف الصارم الذي لا ينثني .

(3) صحيح: " الدارمي146/1 ", وعلقه البخاري في صحيحه " بصيغة الجزم, وانظر: "تغليق التعليق79/2 " .

(4) " الفتح161/1 " .

(5) " الحلية170/3 ", " السير420/5 ", " تهذيب الكمال246/10 " .

(6) " السير241/7 " .

* وممّا جاء في وصف الإمام الأوزاعي_ رحمه الله_ قول أبي نعيم الأصبهاني_ رحمه الله_: [كان واحد زمانه, وإمام وأوانه, **كان ممن لا يخاف في الله لومة لائم, مقولاً بالحق, لا يخاف سطوة العظائم**][1] .

* وفي ترجمة الإمام المفسر المشهور أبي جعفر محمد بن جرير الطبري_رحمه الله_, قال أبو محمد الفرغاني: [كان محمد **لا يأخذه في الله لوم لائم مع عظم ما يؤذى**][2] .

* وقال الذهبي_ رحمه الله_ في ترجمة أبي الفضل التميمي صالح بن أحمد: [ذكره شيرويه في تاريخه, فقال: كان ركناً من أركان الحديث: ثقة, حافظاً, ديناً, **لا يخاف في الله لومة لائم**][3] .

* وقال الذهبي في ترجمة البربهاري_ رحمه الله_: [شيخ الحنابلة القدوة الإمام: أبو محمد الحسن بن علي ابن خلف البربهاري الفقيه, **كان قوالاً بالحق**, داعية إلى الأثر, **لا يخاف في الله لومة لائم**][4] .

* وفي ترجمة المنذر بن سعيد البلوطي_ رحمه الله_, قال الذهبي: [قال ابن بشكوال في بعض كتبه: منذر بن سعيد: خطيب بليغ, مصقع لم يكن بالأندلس أخطب منه مع العلم البارع والمعرفة الكاملة واليقين في العلوم, والدين, والورع وكثرة الصيام والتهجد, **والصدع بالحق, كان لا تأخذه في الله لومة لائم**][5] .

* وقال الذهبي في ترجمة ابن ذنين_ رحمه الله_: [العلامة, القدوة, العابد: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذنين الصدفي الأندلسي الطليطلي ...

كان مجاب الدعوة وكان سنياً أثرياً ثبتاً, متحرياً, **قوالاً بالحق, لا يخاف في الله لومة لائم**][6] .

* وجاء في ترجمة الحافظ, المحدث عبد الرحمن بن منده_ رحمه الله_:

[قال الدقاق في رسالته: أول شيخ سمعت منه: عبدُ الرحمن فرزقنى الله ببركته وحسن نيته: فهمَ الحديث, وكان جذعاً في أعين المخالفين, **ولا يخاف في الله لومة لائم**][7] .

* وقال الذهبي_ رحمه الله_ في ترجمة أبي العلاء الهمذاني الحافظ, العلامة المقرىء, شيخ الإسلام: الحسن بن أحمد: [كان لا يغشى السلاطين, **ولا تأخذه في الله لومة لائم**][8] .

* وفي ترجمة أبي بكر عبد الرحمن المقرئ الحنبلي_ رحمه الله_, قال ابن العماد:

---

(1) " الحلية 135/6 " .

(2) " تذكرة الحفاظ 712/2 ", " السير 274/14 " .

(3) " تذكرة الحفاظ 986/3 ", " طبقات الحفاظ/392 " .

(4) " السير 90/15 " .

(5) " السير 174/16 " .

(6) " السير 426/17 " .

(7) " تذكرة الحفاظ 1167/3 ", " السير 352/18 " .

(8) " تذكرة الحفاظ 1326/4 ", " السير 43/21 ", " طبقات الحفاظ/475 " .

[أبو بكر عبد الرحمن المقرئ بن الأسعد الغياثي: الفقيه, الحنبلي, ويعرف بالأعز البغدادي ...

وكان ذكياً جداً يحفظ في يوم واحد ما لا يحفظ غيره في شهر, وسمع من عبد الوهاب الأنماطي, وسعد الخير الأنماطي, وتكلم في مسائل الخلاف, وسافر إلى الشام, وسكن دمشق مدة, وأمّ بالحنابلة في جامعها ثم توجه إلى ديار مصر فاستوطنها إلى حين وفاته .

وكان فقيهاً, فاضلاً, قارئاً طيب النغمة, قال ابن الليثي: **كان قوياً في دين الله, متمسكا بالآثار, لا يرى منكراً أو يسمع به: إلا غيّره, لا يحابي في قول الحق أحداً**, قال: وصحبته وسمعت عليه معتقداً في السنة, قاله ابن رجب][1] .

* وفي ترجمة العماد المقدسي الحنبلي_ رحمه الله_؛ قال الذهبي:

[الشيخ الإمام, العالم, الزاهد, القدوة, الفقيه, بركة الوقت: عماد الدين, أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي ...

قال الشيخ الضياء: ...

وأما زهده: فما أعلم أنه أدخل نفسه في شيء من أمر الدنيا ولا تعرض لها, ولا نافس فيها, **وما علمت أنه دخل إلى سلطان, ولا وال**, **وكان قوياً في أمر الله, ضعيفاً في بدنه, لا تأخذه في الله لومة لائم**][2] .

* وقال ابن مفلح_ رحمه الله_ في ترجمة العلثي الحنبلي:

[إسحاق بن أحمد بن محمد بن على بن غانم العلثى الإمام, الزاهد القدوة: أبو الفضل ...

كان قدوةً صالحاً زاهداً, فقيهاً عالماً أمّاراً بالمعروف نهاء عن المنكر, **لا يخاف أحداً إلا الله, ولا تأخذه فى الله لومة لائم, أنكر على الخليفة الناصر فمن دونه, وواجه الخليفة وصدعه بالحق** .

قال بعضهم: هو شيخ العراق والقائم بالإنكار على الفقهاء والفقراء, وغيرهم فيما ترخصوا فيه وقال المنذرى: قيل إنه لم يكن فى زمانه مثله أكثر إنكاراً للمنكر منه وحُبس على ذلك مدة وله رسائل كثيرة إلى الأعيان بالإنكار عليهم والنصح لهم][3] .

ــ وقد مضى على ذلك ائمة الطائفة المنصورة جيلاً بعد جيل, وخلفاً بعد سلف في سلسلة طيبة, مباركة, حلقاتُها: الصدعُ بالحق: علماً, وتعليماً, ودعوةً, وجهاداً, وطرفُها بيد أنبياء الله ورسله, و_ (لما كان من افضل الجهاد: قول الحق مع شدة المعارض مثل ان تتكلم به عند من تخاف سلطته واذاه: كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الاوفر، وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من ذلك اكمل الجهاد واتمه)[4] .

---

(1) " شذرات الذهب2/233: 234 " .

(2) " السير22/47: 49 " .

(3) " المقصد الارشد في ذكر اصحاب الإمام احمد1/246: 247 " .

(4) " زاد المعاد3/5: 6 " .

ـ ـ ومن المناسب أن نذكر ما ورد هنا في حق إمامين من أجلة أئمة الطائفة المنصورة ممن انعقدت قلوب أهل السنة على محبتهما, وإجلالهما, والاقتداء بهما, وهما: الإمام أحمد, وشيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمهما الله_:

ـ أمّا الإمام أحمد: (فكان أشد أهل زمانه في ذلك قولاً وأوكده فيه رأياً, وآخذ به على الخلق وأنصحه لهم, صبر في ذلك على البلاء من فتنة الضراء والسراء والشدة والرخاء والضرب الشديد بعد طول الحبس في ضنك الحديد فبذل لله مهجة نفسه وجاد بالحياة لأهلها وآثر الموت على أصعب العقوبات يرضى منه على بلوغ ما أوجب الله عز وجل على العلماء من القيام منه على الخلق وشفقا عليهم .

فأصبر لعظيم جهد بلاء الدنيا: نفسه, واحتمل في ذات الله كل ما عجز الخلق أجمعون عن احتمال مثله أو بعضه: آخذاً بعنان الحق, صابراً على وعر الطريق وخشونة المسلك منفردا بالوحدة عاضاً على لجام الصواب, جواداً لمحبوب العافية لأهلها إذ كانوا لا يصلون إليها إلا بفراق السنة: فحالف الوحشة وأنس بالوحدة فمضى على سنته ...

رضي بالحق صاحباً وقريناً, ومؤنساً لا يثنيه عن ذلك خلاف من خالفه ولا عداوة من عاداه لا تأخذه في الله لومة لائم لا يزعجه هلع ولا يستميله طمع, ولا يزيغه فزع حتى قمع باطل الخلق بما صبره عليه من الأخذ بعنان الحق لا يستكثر لله الكثير, ولا يرضى له من نفسه بالقليل)(1) .

ـ أمّا شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_ فقد عقد الحافظ عمر بن علي البزار فصلاً في " الأعلام العلية ", فقال: [الفصل الثاني عشر: من ذكر قوته في مرضاة الله وصبره على الشدائد واحتماله إياها, وثبوته على الحق إلى أن توفاه الله تعالى على ذلك: صابراً محتسباً راضياً شاكراً .

كان_ رضي الله عنه_ من أعظم أهل عصره: قوةً, ومقاماً وثبوتاً على الحق وتقريراً لتحقيق توحيد الحق: لا يصده عن ذلك لوم لائم ولا قول قائل, ولا يرجع عنه لحجة محتج بل كان إذا وضح له الحق: يعض عليه بالنواجذ ولا يلتفت إلى مباين معاند: فاتفق غالب الناس على معاداته وجل من عاداه قد تستروا باسم العلماء, والزمرة الفاخرة وهم أبلغ الناس في الإقبال على الدنيا, والإعراض عن الاخرة .

وسبب عدواتهم له أن مقصودهم الأكبر: طلب الجاه والرئاسة وإقبال الخلق وراوه قد رقاه الله إلى ذروة السنام من ذلك بما أوقع له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها وهم عنها بمعزل: فنصبوا عداوته وامتلات قلوبهم بمحاسدته, وارادوا ستر ذلك عن الناس حتى لا يفطن بهم: فعمدوا إلى اختلاق الباطل والبهتان عليه, والوقوع فيه خصوصاً عند الامراء والحكام وإظهارهم الإنكار عليه ما يفتي به من الحلال والحرام: فشققوا قلوب الطغام بما اجترحوه من زور الكلام, ونسوا ان لكل قول مقاماً اي مقام بين يدي احكم الحكام يساله هل قلته بحق او بذام؛ فيجازي المحق دار السلام, والمبطل دار الانتقام .

فبعضهم صبا إلى اقوالهم تقليداً وصار في حق هذا الإمام: جباراً, عنيداً احسّ بذلك من العامة قوم قد اصبحوا للحكام عبيداً وتصوروا ان اخذهم بزمام حصول المال يكون شديداً: فاصبحوا وهم لهم مصدقين, وفي طاعتهم مستبقين .

---

(1) " السنة للخلال1/229: 230 " .

فاجتمع من هذا التركيب: العديد بحيث عاداه أكثر السادات والعبيد كل بحسب غرضه الفاسد .

وهو مع ذلك كلما رأى تحاشدهم في مباينته وتعاضدهم في مناقضته: لا يزداد إلا للحق انتصاراً ولكثرة حججه وبراهينه إلا إظهاراً .

ولقد سُجن أزماناً وأعصاراً, وسنين وشهوراً ولم يولهم دبره فراراً, ولقد قصد أعداؤه الفتك به مراراً, وأوسعوا حيلهم عليه إعلاناً وإسراراً فجعل الله حفظه منهم له شعاراً, ودثاراً ولقد ظنوا أن في حبسه مشينة: فجعله الله له فضيلة وزينة وظهر له يوم موته ما لو رآه واده: أقر به عينيه, فإن الله تعالى لعلمه بقرب أجله ألبسه الفراغ عن الخلق للقدوم على الحق: أجمل حلله كونه حبس على غير جريرة, ولا جريمة بل على قوة في الحق, وعزيمة](1) .

ـ(وعلى الجملة: ينبغي لكل عالم إذا أذِلَّ الحقُ وأخْمِلَ الصواب أن يبذل جهده في نصرهما وأن يجعل نفسه بالذل والخمول: أولى منهما وإن عز الحق فظهر الصواب: أن يستظل بظلهما وأن يكتفي باليسير من رشاش غيرهما:

قليل منك ينفعني ولكن قليلك لا يقال له قليل

والمخاطرة بالنفوس: مشروعة في إعزاز الدين ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر في صفوف المشركين وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين: مشروعة, فمن خشي على نفسه: سقط عنه الوجوب وبقي الاستحباب, ومن قال بأن التغرير بالنفوس لا يجوز: فقد بعد عن الحق ونأى عن الصواب .

وعلى الجملة, فمن آثر الله على نفسه: آثره الله ومن طلب رضا الله بما يسخط الناس: رضى الله عنه, وأرضى عنه الناس, ومن طلب رضا الناس بما يسخط الله: سخط الله عليه وأسخط عليه الناس وفي رضا الله كفاية عن رضا كل أحد)(2) .

المطلب الثالث

الوضوح والبيان

---

(1) " الاعلام العلية/76: 77 " .

(2) " طبقات الشافعية الكبرى228/8 " .

وكون الوضوح, والبيان في الخطاب الدعوي من مقومات البلاغ المبين: أمر بدهي, ظاهر بل هو أول ما يتبادر للذهن من وصف البلاغ المأمور به بأنه: " بلاغ **مبين** ", فالحقائق, والمعاني مهما كانت عظيمة فإنها تفقد جدواها إذا صيغت بلغة يَعجز المخاطَبُ بها عن فهمها ممّا قد يُوقعه في اللبس والحيرة بل قد تكون النتيجة على العكس تماماً ممّا يريد المتكلم من كلامه .

ومصطلح { المبين } مشتمل على الإبانة والبيان, فهو بلاغ: ظاهر, واضح الدلالة: لا لبس فيه, ولا خفاء مع التعبير, والإفصاح عن حقائق الدعوة ومفاهيمها بما يترك المدعو على مثل البيضاء: ليلها, ونهارها سواء .

قال ابن جرير الطبري_ رحمه الله_: [{ المبين }: **الذي يبين لمن سمعه حتى يفهمه**](1) .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }, أي: تبليغكم البين الذي **لا** يبقي **لأحد**: **شكاً**, **ولا شبهة**, وقد فعل صلى الله عليه وسلم: بلغ البلاغ المبين](2) .

_ فأهل الطائفة المنصورة في دعوتهم الخلق للحق لا يخاطبونهم بألغاز, وأحاجي أو بلغة مجملة, مضطربة هروباً من التصريح بما يجب التصريح به كما لا يخاطبونهم بتكلف, وتقعر مذموم أو بمصطلحات مولّدة, غريبة قد تحمل من الباطل أكثر ممّا تحمله من حق فضلاً عمّا فيها من هجر للمصطلحات الشرعية, وهم في ذلك كله: ينطلقون من القرآن الكريم, ذلك الكتاب المعجز, فخطابهم الدعوي: خطاب قرآني, قرآني في لغته كما أنه قرآني في مضمونه .

* قال تعالى: { يأيها الذين امنوا اتقوا الله **وقولوا قولاً سديداً** يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } [الأحزاب: 70_ 71] .

فأمرنا الله تعالى بأن نقول قولاً سديداً, والقول السديد: هو ما كان سديداً في معناه, سديداً في مبناه تبعاً للمخاطَب به, وأسدّ القول, وأحسنه: قولُ الله سبحانه وتعالى الذي أنزل للناس كافة .

* قال تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا } .

* وقال_ أيضاً_: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا } [النساء: 87] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [في قوله: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا }, { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا }: إخبارٌ بأن حديثه, وأخباره, وأقواله في أعلى مراتب الصدق بل أعلاها, فكل ما قيل في العقائد والعلوم, والاعمال ممّا يناقض ما اخبر الله به: فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقين, فلا يمكن ان يكون حقاً](3).

* وقد قال تعالى_ كذلك_ إخباراً عن قرانه المجيد: { إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ } .

وهداية القران الكريم للتي هي اقوم: هداية مطلقة, فهو يهدي للتي هي اقوم: مضموناً, وحقائقَ كما يهدي للتي هي اقوم: لغةً, وحديثاً, فاقوم المعاني, والحقائق: الحقائق, والمعاني التي دعا إليها القران الكريم, واقوم

---

(1) " تفسير الطبري14/157 " .

(2) " تفسير السعدي/411 " .

(3) " تفسير السعدي/112 " .

أساليب الخطاب, وأحاديثه: الأساليب, والأحاديث التي جاء بها القرآن الكريم للدعوة لتلك المعاني, والحقائق, فهو هداية للتي هي أقوم: معنىً, ومبنىً .

ـــ ولذلك؛ فالخطاب الدعوي لأهل الطائفة المنصورة يتميز بما يلي:

ـ أولاً: عدم التكلف في العبارة .

والتكلف مذموم مطلقاً, وقد جاءت الشريعة بالنهي عنه[1], ومن أسوأ التكلف: التكلف في الخطاب الدعوي بتشقيق الكلام, والتقعر به, والتفاصح فيه, والولع بل الوله بالتراكيب اللغوية المتكلفة, والتفنن فيها, والاهتمام الزائد بها والذي يصل في أحيان كثيرة إلى التفريط في المضمون لصالح الشكل مع ترك: الاسترسال السلس في العبارة, والكلمات قريبة التداول, سريعة الوصول للعقول والقلوب شغفاً بهذه التراكيب بزعم البلاغة والرصانة في العرض, والعمق والجدية في الطرح, وليس هذا من ذاك في شيء .

فالقرآن الكريم ـ وهو مقياس الفصاحة, والبلاغة ـ: سهل المأخذ, داني القطاف, ينساب في عذوبة, واسترسال إلى القلوب, والعقول بغير تكلف, وحاشاه .

وقد وصف الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم في غير موضع منه بأنه: مبين:

* قال تعالى: { قد جاءكم من الله نور **وكتاب مبين** يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم } .

* وقال تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين **بلسان عربي مبين** } .

* وقال تعالى: {طس تلك ايات القران وكتاب **مبين** هدى وبشرى للمؤمنين } [النمل: 1_2] .

* وقال تعالى في أول الحجر: { الر تلك آيات الكتاب **وقرآن مبين** } .

* وقال تعالى: { وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا **ذكر وقران مبين** }.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: [وقوله تعالى: { بلسان عربي مبين }، اي: هذا القران الذي انزلناه إليك انزلناه باللسان العربي، الفصيح، الكامل، الشامل ليكون بيناً، واضحاً، ظاهراً، قاطعاً للعذر, مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة][2] .

* وقد قال تعالى ـ كذلك ـ: { ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر } [القمر: 22] .

قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: [اي: ولقد يسرنا, وسهلنا هذا القران الكريم: الفاظه للحفظ والاداء, ومعانيه للفهم والعلم لانه احسن الكلام لفظاً, واصدقه معنىً, وابينه تفسيراً, فكل من اقبل عليه: يَسّر الله عليه مطلوبه غاية التيسير, وسهله عليه .

---

(1) عن عمر ـ رضي الله عنه ـ, قال: ' نهينا عن التكلف " . " البخاري 2659/6 " .

(2) " ابن كثير 348/3 " .

والذكر: شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال, والحرام, وأحكام الأمر, والنهي, وأحكام الجزاء, والمواعظ, والعبر, والعقائد النافعة, والأخبار الصادقة](1) .

فسهولة الخطاب, ويسره مع وضوح المقصود, وظهوره لا تعني الركاكة كما أن التكلف, وليّ الألفاظ لا يعني البلاغة, والبيان .

ـ والرسول صلى الله عليه وسلم: هو أفصح من نطق بالضاد, وقد أوتي جوامع الكلام, وقد وصفه الله سبحانه وتعالى: بالبلاغ المبين في غير ما آية، ومن ذلك:

* قال تعالى: {وَأَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } .

* وقال تعالى: { فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين } .

* وقال تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا **الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** }

فبلّغ صلى الله عليه وسلم: البلاغ المبين مع امتلاكه ناصية الفصاحة, واعتلائه صهوة البلاغة والبيان, (ويدخل في هذا: كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد, والأعمال, والأقوال, والأحكام الشرعية, والمطالب الإلهية .

فبغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ, ودعا وأنذر, وبشر ويسر, وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين, وبلغ: بقوله, وفعله, وكتبه, ورسله, فلم يبق خير: إلا دل أمته عليه, ولا شر: إلا حذرها عنه, وشهد له بالتبليغ: أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين, ورجال المسلمين)(2) .

ومع هذا كله: فأحاديثه, وأقواله صلى الله عليه وسلم أبعد ما تكون عن التكلف, والتعمق في لفظها, ونظمها, وتراكيبها .

* وقد جاء عن عائشة_ رضي الله عنها_ قالت: " كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه "(3).

قال المناوي_ رحمه الله_: [أي: فاصلاً بين الحق والباطل واثره عليه لانه ابلغ او مفصولاً عن الباطل او مصوناً عنه فليس في كلامه باطل اصلاً او مختصاً او متميزاً في الدلالة على معناه .

وحاصله: انه بَيِّنُ المعنى لا يلتبس على احد بل يفهمه كل من سمعه من العرب وغيرهم لظهوره وتفاصيل حروفه وكلماته واقتداره **لكمال فصاحته على إيضاح الكلام وتبيينه**](4) .

---

(1) " تفسير السعدي/607 " .

(2) " تفسير السعدي/149 " .

(3) " ابو داود/261/4 ", " ابن ابي شيبة/300/5 " .

(4) " فيض القدير/81/5 " .

* وعن عبد الله بن عمرو_ رضي الله عنه_ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة "[1] .

وقد ترجم الترمذي_ رحمه الله_ لهذا الحديث بقوله: "باب: ما جاء في الفصاحة والبيان "[2] .

وترجم له أبو داود_ رحمه الله_ بقوله: "باب: ما جاء في المتشدق في الكلام "[3] .

قال المناوي_ رحمه الله_: [قال في الأذكار: فيكره التقعير في الكلام بالتشدق, وتكلف السجع والفصاحة, والتصنع بالمقامات التي يعتادها المتفاصحون, وزخارف القول, فكله من التكلف المذموم وكذا تحري دقائق الإعراب ووحشي اللغة حال مخاطبة العوام .

قال بعض العارفين: لا تقاوم فصاحة الذات: إعراب الكلمات ألا ترى كيف جعل الله موسى أفضل من أخيه عليهما السلام لفصاحة ذاته وكان هارون عليه السلام أفصح منه في نطقه وبلاغته, { الله أعلم حيث يجعل رسالته } .

ولله در القائل: سر الفصاحة كامن في المعدن لخصائص الأرواح لا للألسن

وقال: يا مَنْ أعرب فما أغرب, وعبر فما غبر وأثار المغنى وما أنار المعنى هل الجنان لمن أصلح الجنان أم لمن أتى بالإغراب في الإعراب ؟ ! .

وقال بعضهم: لسان فصيح معرب في كلامه فيا ليته في موقف الحشر يسلم

وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم][4] .

* وعن أبي ثعلبة الخشني_ رضي الله عنه_ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أحبكم إلي الله, وأقربكم مني: أحاسنكم أخلاقاً, وإن أبغضكم إلى الله, وأبعدكم مني: الثرثارون, المتفيقهون, المتشدقون "[5] .

قال المناوي_ رحمه الله_: [الثرثارون: الذين يكثرون الكلام تكلفاً, وتشدقاً, والثرثرة: كثرة الكلام, وترديده, والمتفيقهون, أي: الذين يتوسعون في الكلام, ويفتحون به أفواههم, ويتفصحون فيه, المتشدقون: الذين يتكلمون بأشداقهم, ويتقعرون في مخاطباتهم][6] .

---

(1) " الترمذي5/141 "," أبو داود4/301 ", " ابن ابي شيبة5/300 ", " البزار6/422 ", " المعجم الأوسط5/205 ", " أحمد2/165, 187".

(2) " الترمذي5/141 " .

(3) " ابو داود4/301 " .

(4) " فيض القدير2/283: 284 " .

(5) " ابن حبان2/231, 12/368 ", " احمد4/193, 194 ", " المعجم الكبير22/221 ", " البيهقي الكبرى10/193 ", "مصنف ابن ابي شيبة5/210 ", وقال في " المجمع8/21 ": [رواه احمد, والطبراني, ورجال احمد: رجال الصحيح], والحديث رواه " الترمذي4/370 " عن جابر, ورواه " احمد2/369 ", " البيهقي الكبرى10/194 " عن ابي هريرة .

(6) " فيض القدير3/465 " .

ـ وهذا, كما يَعرض في الخطاب: فإنه يعرض في الكتاب بل هو في الكتاب أشد, وأعظم إذ للقلم طغيان ما لم يُلجم .

فأفاد الحديث: (أن تكلف البلاغة, والتعمق في التفصح: مذموم, وأن ضد ذلك: مطلوب, محبوب)[1] .

* وعن أبي أمامة_ رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " العي والحياء: شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان: شعبتان من النفاق "[2] .

قال الطيبي_ رحمه الله_: [إنما قوبل العي في الكلام مطلقاً بالبيان الذي هو التعمق في النطق والتفاصح, وإظهار التقدم فيه على الناس مبالغةً لذم البيان, وأن هذه القضية غير مُضرة بالإيمان مضرة ذلك البيان][3] .

ـ فالبلاغة, وحسن اللفظ, وجودة النظم: لا تعني أبداً التكلف, وليّ الألفاظ في التراكيب المخترعة التي تتعب القارئ أو السامع وتكده, ولذا كانت البلاغة (في عرف أهل المعاني والبيان: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع الفصاحة, وهي: **خلوه عن التعقيد**)[4] .

قال الإمام الشافعي_ رحمه الله_ وهو يتحدث عن آداب الخطيب:

[وأحب أن يرفع صوته حتى يسمع أقصى من حضره إن قدر على ذلك وأحب أن يكون كلامه: كلاماً مترسلاً مبيناً معرباً بغير الإعراب الذي يشبه العي وغير التمطيط, وتقطيع الكلام ومده وما يستنكر منه, ولا العجلة فيه عن الإفهام ولا ترك الإفصاح بالقصد وأحب أن يكون كلامه قصداً, بليغاً جامعاً][5] .

وقال ابن قتيبة_ رحمه الله_: [ينبغي أن يكون الخطيب: رابطَ الجأش ساكنَ الجوارح, قليلَ اللّحظ, متخير اللّفظ، و لا يدقّق في المعاني كلّ التدقيق, ولا ينقّح الألفاظ كل التنقيح][6] .

ـ ـ فَهَمّ أهلِ الطائفة المنصورة الأكبر في دعوتهم الخلق إلى الحق: هو إيصال هذا الحق إلى القلوب, والعقول لتعقل عن الله دينَه, وشرعه لا إظهار القدرات اللغوية, والمهارات الأدبية, والتصرف في فنون القول ممّا يخرج بالدعوة عن هدفها, ومقصودها الأساس .

والمتأمّل في كتبه, ورسائله صلى الله عليه وسلم التي كان يرسلها للدعوة: يجد فيها التركيز على إيصال الدعوة للغير, والإفصاح عن مقصودها دون تكلف لفظ او تركيب, وإنما هو: وضوح المقصد، وسلاسة العبارة، وقوة المنطق، ونفاذ المعنى, ولا مزيد, وعلى هذا: جرى خيرُ من حمل هذا الدين في دعوة الناس

---

(1) " فيض القدير 155/4 " .

(2) " الترمذي 375/4 ", ورواه في " المعجم الكبير 96/8 " بلفظ مقارب, وانظر: " المجمع 92/1 ", والحديث حسّنه الترمذي, والعراقي, وصححه الذهبي كما نقل ذلك المناوي في " فيض القدير 428/3 " .

(3) " فيض القدير 428/3 " .

(4) " فيض القدير 284/2 " .

(5) " الام 200/1 " .

(6) " عيون الاخبار 173/2 " .

إليه .

قال الشاطبي_ رحمه الله_: [وعلى هذا النحو مرّ السلف الصالح في بث الشريعة للمؤالف والمخالف، ومن نظر في استدلالهم على إثبات الأحكام التكليفية: علم أنهم قصدوا أيسرَ الطرق, وأقربهَا إلى عقول المخاطَبين والطالبين لكن من غير ترتيبٍ متكلَّفٍ, ولا نظمٍ مؤلَّف بل كانوا يرمون بالكلام على عواهنهِ ولا يبالون كيف وقعَ الكلامُ في ترتيبه إذا كان سهلَ المأخذِ, قريبَ الملتمس](1) .

_ ثانياً: البعد عن الإجمال المُلبس .

ونعني بالإجمال المُلبس: الإجمال الذي يوقع المدعو في الحيرة, والتخبط فلا يدري معه ما الذي يريده الله منه !, وهو: الإجمال فيما حقه التفصيل, وهذا الإجمال غالباً ما يكون دافعه: الجهل أو إيثار السلامة, وكلاهما ممّا لا يتحقق معه وضوح وبيان الخطاب الدعوي .

وقد أنزل الله تعالى كتابه: مفصلاً خاصة فيما يتعلق بأصل الدين من الإيمان والتوحيد, وما يتعلق بما يجب فعله, وما يجب تركه من الواجبات, والمحرمات, فكان الإجمال في هذه المواضع_ عند العلم بالتفصيل_ من الكتمان الذي حرمه الله, وتوعد صاحبه كما سبق بيانه .

* قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ **قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ** لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ **قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ** لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } .

* وقال تعالى: { أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ **الْكِتَابَ مُفَصَّلًا** وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [الأنعام: 114] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا }, أي: موضحاً فيه الحلال والحرام, والأحكام الشرعية, وأصول الدين وفروعه الذي لا بيان فوق بيانه, ولا برهان أجلى من برهانه, ولا أحسن منه حكماً ولا أقوم قيلاً لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة](2) .

* وقال تعالى: { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ **وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } [الأنعام: 119] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ } أي: بمجرد ما تهوى أنفسهم { بِغَيْرِ عِلْمٍ }, ولا حجة فليحذر العبد من امثال هؤلاء, وعلامتهم_ كما وصفهم الله لعباده_ ان دعوتهم غير مبنية على برهان, ولا لهم حجة شرعية وإنما يوجد لهم شبه بحسب اهوائهم الفاسدة, وارائهم القاصرة, فهؤلاء: معتدون على شرع الله وعلى عباد الله, والله لا يحب المعتدين بخلاف الهادين المهتدين, فإنهم يدعون إلى الحق والهدى, ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية, ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم, والقرب منه](3) .

---

(1) " الموافقات59/1 " .

(2) " تفسير السعدي/174 " .

(3) " تفسير السعدي/174 " .

* وقال تعالى: { وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا **قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ** لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } [الأنعام: 126] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [أي: معتدلاً, موصلاً إلى الله, وإلى دار كرامته, قد بُينت أحكامُه, وفُصلت شرائعُه, ومُيز الخير من الشر](1) .

* وقال تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ **نُفَصِّلُ الْآيَاتِ** لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } .

* وقال تعالى: { وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ **بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ** عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 52] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ } أي: بينّا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق { عَلَى عِلْمٍ } من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان, وما يصلح لهم وما لا يصلح, ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور, فيجهل بعض الأحوال, فيحكم حكماً غير مناسب بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء, ووسعت رحمته كل شيء](2) .

* وقال تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ **وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ** لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } .

* وقال تعالى في آخر سورة النساء التي بين فيها كثيراً من الأحكام: { يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم } [النساء: 176] .

* وقال تعالى: { وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون } [التوبة: 115] .

_ فالتفصيل لمسائل الدين الكبار, ومسائله الأصلية: مانع من الضلال كما صرّحت به الآيات .

* ومن حديث النعمان بن بشير_ رضي الله عنه_, يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

" الحلال: بين, والحرام: بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس, فمن اتقى المشبهات: استبرا لدينه وعرضه, ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه: محارمه "(3) .

قال الرامهرمزي_ رحمه الله_: [هذا مثل في وضوح الحق, وظهور معالم الإسلام لمن اراد قصدها, وعدل عن طريق الشبه, والريب مفارقاً لها](4) .

_ـ وقد ذكر اهل العلم في مباحث " الفتوى " انه **لا** يجوز للمفتي ان يلقي المستفتي في الحيرة, والاضطراب الذي لا يَعرف معه الواجبَ عليه, والداعية وإن لم يكن كالمفتي من كل وجه إلا انه إذا كان كلامه في

---

(1) " المرجع السابق/176 " .

(2) " تفسير السعدي/190 " .

(3) " البخاري 28/1", " مسلم1219/3 " .

(4) " امثال الحديث/15 " .

المأمور, والمحظور: فإنه يلزمه ما يلزم المفتي هنا مع التسليم بأن كلام الداعية إنما هو_ غالباً_ في المطلق من الأحكام .

قال ابن الصلاح_ رحمه الله_ عن المفتي حال الفتوى: [إذا اقتصر في جوابه على حكاية الخلاف بأن قال: فيها قولان أو وجهان أو نحو ذلك من غير أن يبين الأرجح: فحاصل أمره أنه لم يفت بشئٍ .

وأذكر أني حضرت بالموصل الشيخ الصدر المصنف أبا السعادات ابن الأثير الجزري_ رحمه الله_، فذكر بعض الحاضرين عنده عن بعض المدرسين: أنه أفتى في مسألة, فقال: فيها قولان، وأخذ يُزري عليه .

فقال الشيخ ابن الأثير: كان الشيخ أبو القاسم بن البزري، وهو عَلاّمة زمانه في المذهب إذا كان في المسألة خلاف واستفتي عنها: يذكر الخلاف في الفتيا، ويقالُ له في ذلك، فيقول: لا أتقلد العهدة مختاراً لأحد الرَّأيين, مُقتصراً عليه .

وهذا حيد عن غرض الفتوى، وإذا لم يذكر شيئا أصلاً: فلم يتقلد العهدة أيضاً، ولكنه لم يأت بالمطلوب حيث لم يُخلص السائل من عمايته وهذا في ذلك كذلك .

إلى أن قال_ رحمه الله_:

وهكذا إذا قال المفتي في موضع الخلاف: يُرجعُ إلى رأي الحاكم: فقد عدل عن نهج الفتوى، ولم يُفت أيضاً بشئ، وهو كما إذا استفتي: فلم يُجب، وقال: استفتوا غيري .

وحضرتُ بالموصل شيخها المفتي أبا حامد محمد بن يونس، وقد استفتي في مسألة فكتب في جوابها: إن فيها خلافاً, فقال بعض من حضر: كيف يعمل المستفتي ؟! .

فقال: يختار له القاضي أحد المذهبين، ثم قال: هذا يبنى على أن العامي إذا اختلف عليه اجتهاد اثنين فبماذا يعمل ؟، وفيه خلاف مشهور .

وهذا غير مستقيم ...

إلى أن قال ابن الصلاح_ رحمه الله_:

فهذا فيه إحواج للمستفتي إلى ان يستفتي مرة اخرى, ويسأل عن هذا ايضاً, لأنه لا يدري ان حكمه التخيّر او الاخذ بالأخف أو الأغلظ ؟!، لم يأت إذن بما يكشف عن عَمَايته بل زاده عماية وحَيْرة على أن الصحيح في ذلك على ما سيأتي ذِكره إن شاء الله تعالى: إنه يجب عليه الاخذ بقول الاوثق منهما][1] .

وقال_ رحمه الله_: [يجب على المفتي حيث يجب عليه الجواب: ان يبينه بياناً مزيحاً للإ شكال][2] .

وقال ابن القيم_ رحمه الله_: [لايجوز للمفتي الترويج وتخيير السائل وإلقاؤه في الإشكال والحيرة بل عليه ان يبين بياناً مزيلاً للإشكال، متضمناً لفصل الخطاب، كافياً في حصول المقصود، لا يحتاج معه إلى غيره، ولا يكون كالمفتي الذي سئل عن مسألة في المواريث, فقال: يقسم بين الورثة على فرائض الله عز وجل وكتبه

---

(1) " ادب المفتي/130: 134 " .

(2) " المرجع السابق/134 " .

فلان، وسئل آخر عن صلاة الكسوف, فقال: تصلى على حديث عائشة، وإن كان هذا أعلم من الأول وسئل آخر عن مسألة من الزكاة فقال: أما أهل الإيثار فيخرجون المال كله، وأما غيرهم فيخرج القدر الواجب عليه أو كما قال, وسئل آخر عن مسألة, فقال: فيها قولان، ولم يزد .

قلت: وهذا فيه تفصيل، فإن المفتي المتمكن من العلم المضطلع به قد يتوقف في الصواب في المسألة المتنازع فيها فلا يقدم على الجزم بغير علم، وغاية ما يمكنه أن يذكر الخلاف فيها للسائل، وكثيراً ما يسأل الإمام أحمد_ رضي الله عنه_, وغيره من الأئمة عن مسألة فيقول: فيها قولان أو قد اختلفوا فيها، وهذا كثير في أجوبة الإمام أحمد لسَعَة علمه وورعه، وهو كثير في كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه، يذكر المسألة ثم يقول: فيها قولان][1] .

_ وقد نصّ العلماء على أن الإجمال فيما حقه التفصيل, والبيان: هو من زلة العالم التي تُحْذَر, ويُحَذّر منها, والتي يتولد منها شرّ مستطير, وفساد عظيم .

قال المناوي_ رحمه الله_: [" احذروا زلة العالم ", أي: احذروا الاقتداء به فيها, ومتابعته عليها: كلبسه الإبريسم, وركوبه مراكب العجم, وأخذه ما فيه شبهة من مال السلطان وغيره, ودخوله عليه, والتردد إليه, ومساعدته إياه بترك الإنكار, وتمزيقه الأعراض, وتعديه باللسان في المناظرة, واستخفافه بالناس, وترفعه عليهم, واشتغاله بالعلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه, وكتساهله في الإفتاء, وفي الإجازة به, وكتقصير في بذل الجهد في الاجتهاد وإعطائه النظر حقه فيما يسأل عنه, وتسارعه إلى الجواب من رأس القلم أو اللسان, **وإجماله في محل التفصيل والبيان**؛ فهذه ذنوب يتبع العالِم فيها: العالَم, فيموت العالِم: ويبقى شره مستطيراً في العالم][2] .

_ ثالثاً: استخدام المصطلحات الشرعية .

فالخطاب الدعوي لأهل الطائفة المنصورة يقوم على " المصطلح الشرعي " في مخاطبة المدعوين لا غيره ما أمكن ذلك, وذلك أن " المصطلح الشرعي " هو الأقوم, والأهدى لما وضع له أما غيره من المصطلحات المخترعة, المولدة: فلا يؤمن معها الزلل, والخلل كونها من نتاج العقول غير المعصومة فضلاً عمّا فيها من إعراض عن هدي الكتاب, والسنة, وما ورد عن هداة هذه الأمة, فكان التمسك بهذه المصطلحات المبتدعة, والشغف بها, والتنافس فيها ليس له من مبرر غير اتباع الهوى مع التسليم بأنه استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير, وربما ضرّ التكلف اهله .

_ فأهل الطائفة المنصورة_ وهم اهل الاعتصام بالكتاب, والسنة_: يعتصمون بالكتاب, والسنة: لفظاً, ومعنىً, فكما يعتصمون بمعاني الكتاب, والسنة خوف الزيغ, والضلال: كذلك يعتصمون بألفاظهما خوف الزيغ, والضلال إذ الزيغ, والضلال كما يعرض من جهة المعاني: فإنه يعرض كذلك من جهة الالفاظ بل الالفاظ بوابة المعاني, ومدخلها, وقوالبها التي تصب فيها فما لم تكن تلك الالفاظ محكمة: جامعة للحق, مانعة للباطل وإلا كانت مدخلاً للزيغ, والضلال ولو مع بُعد العهد, وتطاول الامد إذ (الالفاظ: للمعاني ازمة، وعليها ادلة،

---

(1) " إعلام الموقعين4/177: 178 " .

(2) " فيض القدير1/187 " .

وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة) .

ولذا, فأهل الطائفة المنصورة وقد فقهوا المعاني الشرعية: يأخذون الألفاظ الشرعية ليضبطوا بها تلك المعاني: فلا يشذ عنهم منها شيء .

* قال تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } [المائدة: 3] .

فنص تعالى على أنه قد أكمل لنا الدين, وأحكمه, وهذا الكمال, والاكتمال: شامل للمعاني, والمباني, فلم يكن هناك معنى للإعراض عن المباني الشرعية, وتلمّس غيرها, وجعلها قوالب للمعاني الشرعية في مخاطبة المدعوين .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } بتمام النصر, وتكميل الشرائع: الظاهرة والباطنة, الأصول والفروع, ولهذا كان الكتاب والسنة: كافيين كل الكفاية في أحكام الدين, وأصوله وفروعه, فكل متكف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة من علم الكلام, وغيره: فهو جاهل, مبطل في دعواه قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله, ودعا إليه, وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله][1] .

ـــ وقد ذكرنا من قبل في قوله تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }: أن هداية القرآن الكريم للتي هى أقوم: هداية مطلقة, فهو يهدي للتي هي أقوم: معنىً, ومبنىً كما أن هذه الهداية_ كما هو معلوم_: هداية مطلقة_ أيضاً_ من الناحية الزمنية, فالقرآن يهدي للتي هي أقوم: معنىً, ومبنىً في كل زمن من الأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها, فلا تُخص هدايته في المعنى أو المبنى بزمن دون زمن .

* وقد قال تعالى_ كذلك_: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا } .

* وقال_ أيضاً_: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا } .

ـــ وقد نفى سبحانه وتعالى " العوج " عن كتابه، فقال تعالى: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [وقوله جل وعلا: { قرانا عربياً غير ذي عوج }, أي: هو قران بلسان عربي مبين, لا اعوجاج فيه, ولا انحراف, ولا لبس بل هو بيان, ووضوح, وبرهان, وإنما جعله الله تعالى كذلك, وانزله بذلك { لعلهم يتقون }, اي: يحذرون ما فيه من الوعيد, ويعملون بما فيه من الوعد][2] .

* وقال تعالى_ ايضاً_: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** } [الكهف: 1] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [" الحمد ": هو الثناء عليه بصفاته التي هي كلها صفات كمال, وبنعمه الظاهرة والباطنة, الدينية والدنيوية, واجل نعمه على الإطلاق: إنزال الكتاب العظيم على عبده ورسوله محمد

---

(1) " تفسير السعدي/134 " .

(2) " ابن كثير4/53 " .

صلى الله عليه وسلم, فحَمَدَ نفسَه, وفي ضمنه: إرشادُ العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم, وإنزال الكتاب عليهم, ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين على أنه **الكامل من جميع الوجوه**, وهما: نفي العوج عنه، وإثبات أنه مقيم مستقيم][1] .

فكان الخطاب الدعوي المبني على المصطلح الشرعي: خطاباً دعوياً غير ذي عوج, وبالمقابل يكون الخطاب الدعوي المبني على غير المصطلح الشرعي: خطاباً دعوياً ذا عوج وإن ظن أصحابه أنهم قد اعتلوا ذروة سنام الفصاحة, وامتلكوا ناصية البيان .

ـ وفي قوله تعالى: { أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [الأنعام: 114] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا }, أي: موضحاً فيه الحلال والحرام, والأحكام الشرعية, وأصول الدين وفروعه **الذي لا بيان فوق بيانه, ولا برهان أجلى من برهانه, ولا أحسن منه حكماً, ولا أقوم قيلاً لأن أحكامه مشتملة على الحكمة, والرحمة**][2] .

* وفي قوله تعالى: { وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ **عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً** لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 52] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ } أي: بينّا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق { عَلَى عِلْمٍ } من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان, وما يصلح لهم وما لا يصلح, ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور, فيجهل بعض الأحوال, فيحكم حكماً غير مناسب بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء, ووسعت رحمته كل شيء][3] .

ـ ـ فأهل الطائفة المنصورة يُدركون بأن الشرع في استخدامه لمصطلحات دون غيرها: قد أعطى هذه المصطلحات معاني, ودلالات خاصة, وما ذلك إلا رغبة في ربط هذه المعاني, والدلالات بتلك المصطلحات بحيث إذا تمّ التعبير عن هذه المعاني, والدلالات بغير تلك المصطلحات, واستبدالها بمصطلحات محدثة: لم يُفد ذلك قطعاً عين ما أراده الشرع من معاني, ودلالات: نفياً, وإثباتاً .

ومن اليقين في مصدر هذا الشرع, ومرجعيته عند أهل الطائفة المنصورة: أن ربط الشرع لمعنىً من المعاني بمصطلح ما: يعني أن هذا المصطلح هو وحده الأجدر, والأصلح في التعبير عن هذا المعنى مهما تبدلت الأحوال, وتغيرت الأزمان إذ هذا الدين تنزيل علام الغيوب .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام، وقد كان الصحابة والتابعون, والائمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحري حتى خلفت من بعدهم خُلوف رغبوا عن النصوص، واشتقوا لهم الفاظاً غير الفاظ النصوص، فأوجب ذلك هجر النصوص، ومعلوم ان تلك الالفاظ لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان, فتولد من

---

(1) " تفسير السعدي/330 " .

(2) " تفسير السعدي/174 " .

(3) " المرجع السابق/190 " .

هجران ألفاظ النصوص, والإقبال على الألفاظ الحادثة وتعليق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما **لا** يعلمه إلا الله .

فألفاظ النصوص عصمة, وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد, والاضطراب, ولَمَّا كانت هي عصمة عهدة الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون كانت علومهم أصَحَّ من علوم مَنْ بعدهم، وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك، وهلم جرا .

ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُئلوا عن مسألة يقولون: قال الله كذا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، أو فعل رسول الله كذا، ولا يعدلون عن ذلك ماوجدوا إليه سبيلاً قط, فمن تأمّل أجوبتهم وجدها شفاءً لما في الصدور .

فلما طال العهد, وبعد الناس من نور النبوة: صار هذا عيباً عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم, وفروعه: قال الله, **وقال رسول الله**][1] .

ـ وكلام ابن القيم_ رحمه الله_ هذا وإن كان نصاً في حق المفتي فإنه شامل_ ـ

: , _ _ ,

.

_ _ " "، قال:

] : , ,

.[2] [

_ _ في يثه ع "

"، قال:]

, , [3] [.

, _ _ لا

" " , ,

" " , ,

" " :

.

, , ,

(1) " 170/4 " .

(2) " 35/1 " .

(3) " 38/1 " .

. , " 324/1 " ," 297/16 " (

. " 35055 : " (3)

ر